السربداريون فى خراسان

ونشاطهم السياسى

(٧٣٧/٧٨٣هـ)

دكتور
محمد احمد محمد

نعالج فى الصفحات التاليات فترة زمنية من تاريخ خراسان ، تتصل من قريب بتاريخ الدولة الايلخانية - وبالذات - تلك التى أخذت فيها هذه الدولة سبيلها الى الانقراض فى اعقاب وفاة السلطان أبى سعيد بهادرخان ، وشهدت هذه الفترة احداثا سياسية تماثل تماما أواخر عصر السلاجقة ، ذلك أن أحداث هذه الاخيرة قد مهدت السبيل الى اكتساح المغول للبلاد الاسلامية ، وتدميرهم جزءا كبيرا وهاما من العالم الاسلامى ، وبنفس القدر لم تستمر الدولة الايلخانية اكثر من عشرين عاما بعد وفاة السلطان أبى سعيد حيث أخذ أمراء المغول وقادة الجيش الايلخانى يستأثرون بالسلطة ، وينفردون بالحكم فيما تحت ايديهم من ولايات ، واشتدت بينهم المنافسات والخصومات بحيث أدى تطاحنهم فى كثير من الاحيان الى قتل أولئك الايلخانات الضعاف ، وليس أدل على ذلك من قيام ثمانية ايلخانات على العرش الايلخانى من بينهم سيدة (ساتى بك خاتون) فى خلال فترة زمنية قصيرة لم تتجاوز العشرين عاما فيما بين (٧٣٦ - ٧٥٦ هـ) ، ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل امتدت عوامل الضعف الى أن صار بالضرورة أن تنقسم الدولة الايلخانية بين أمراء البيت الايلخانى ، ومن علامات ذلك الضعف استقلال طغاتيمور (٧٣٧ - ٧٥٦ هـ) بحكم اقليمى ما وراء النهر وجزء من خراسان ، على حين انفردت ساتى بك خاتون (٧٣٩ - ٧٤١ هـ) بحكم اذربيجان وأران ، ولما خلفها سليمان خان (٧٤١ - ٧٤٥ هـ) ، شملت دولته ايران واذربيجان وكرجستان والعراق العجمى .

كان طبيعيا ان يمهد ذلك الضعف الايلخانى السبيل الى ظهور الحكام والقادة من الطامعين فى الاستقلال عن الدولة الايلخانية ، ومن ثم

شهدت الولايات الخاضعة للحكم الايلخانى منذ هد ابى سعيد وبعد وفاته فترة تاريخية حافلة بشتى الاحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، أسهم فى تفجيرها اسرات حاكمة جنح ابناؤها الى الاستقلال بالنواحى الايلخانية ، وبلغت هذه الاسرات الحاكمة اثنتى عشرة أسرة ، وصار لهؤلاء الحكام أثر بالغ الخطورة سلبا أو ايجابا على الحياة العامة فى المشرق الاسلامى ، غير أن آثارها السلبية كانت اكثر تأثيرا ، واعمق غورا حيث ظل الصراع والتنافس بين تلك المجموعة المسيطرة فترة زمنية طويلة كان من شأنها أن تمهد لتيمور كور كان ان ينشر اطماعه بحيث صار من اليسير أن ينهض بمشروعه التوسعى على حساب هذا الضعف .

وعلى كل حال كان ظهور هذه الاسرات الحاكمة فى بلاد الشرق علامة من علامات ذلك الصراع بين الأمراء المحليين أو ملوك الطوائف ان صح هذا التعبير وكان السربداريون من أشهر هذه الاسرات الحاكمة فى خراسان ، حيث أقاموا كيانا مستقلا عن الحكم الايلخانى امتد نصف قرن من الزمان .

والحديث عن السربداريين بالغ الأهمية ، لما لهذه الاسرة من نشاط سياسى جدير بالاعتبار ، وترجع اهميتها فى انها تمثل أسرة مذهبية شيعية ذاع صيتها بفعل هذه السيطرة الروحية التى تثبتت دعائمها بأيدى ابنائها فى سبزوار ، وسرعان ما انطلق هؤلاء الابناء مدفوعين بهذا الكيان الروحى الى جيث التوسع والامتداد حتى صار بوسعهم ان يضموا معظم نواحى خراسان ، واستمرت دويلتهم الناشئة تأخذ طريقها الى النمو ، وظلت على تلك الحال الى أن قطعت أوصالها عوامل الضعف ، فوقعت فى قبضة الغزو التيمورى سنة ٧٨٣هـ .

والاكثر من ذلك أهمية أن هذه الدويلة الناشئة قامت بتأييد من جموع الشعب وانبرى لتأسيسها - ايضا - عناصر من بيهق وسط تأييد

الشيعة الحانقين على الحكم الايلخانى منذ عهد ابى سعيد ، وظهر السربداريون فى الأدب الفارسى على اثر ذلك بأنهم اصحاب ثورة ، لم يكن للأمراء المغول أو قادة جيوشهم اى مساهمة فى قيامها بل قامت بتأييد من الشعب نفسه ٠

ويتناول موضوعنا السربداريون فى خراسان ونشاطهم السياسى اربع جوانب تتصل بالتاريخ السياسى للأسرة السربدارية ، وعالجت فى الجانب الاول قيام الدويلة السربدارية ، فبدأت الحديث بالاشارة الى اضمحلال الدولة الايلخانية مبينا الى اى حد كان هذا الضعف سبيلا لانقسام هذه الدولة بين الامراء الايلخانيين مما أدى بالضرورة الى ظهور الحكام الطامعين من الامراء المحليين ، وتتبعت بالحديث ظهور السربداريين ، ونشأة دويلتهم فى سبزوار ٠

أما الجانب الثانى فقد تناولت فيه بالتحليل السربداريين وسياستهم الداخلية موضحا جهودهم تجاه الشعب ، فضلا عن سياستهم نحو طوائف الشيعة ، واثرها البالغ الأهمية فى التمهيد للعمليات التوسعية ، ومن ثم عالجت فى الجانب الثالث سياسة التوسع السربدارى ، وجهودهم المبذولة الموفقة فى هذا الميدان حتى ضموا الى حوزتهم معظم ارجاء خراسان ٠

أما الجانب الرابع والأخير ، فخصصته بالاشارة الى سقوط الدويلة السربدارية من جراء عوامل الضعف الماثل فى نظامهم وما استتبع ذلك من آثار وخيمة على استقرار الاسرة الحاكمة مما أوجد الصراعات والنزاعات بين ابناء البيت السربدارى الأمر الذى آدى فى النهاية الى وقوع على مؤيد الحاكم السربدارى الأخير فى قبضة تيمور لنك سنة ٧٨٣ ٠

هذا والله من وراء القصد ، وأسأله أن يوفقنى فى متابعة البحث فى تاريخ الدول الاسلامية وحضارتها ٠

السربداريون وقيام دويلتهم

اضمحلال المملكة الايلخانية

صار من البديهي ان يكون قيام دولة بعينها اوظهور اسرة عبر سلسلة من الفترات التاريخية محكوما بظروف تاريخية حافلة بأحداث سياسية واقتصادية وأخرى اجتماعية ذلك أن احكام الواقع التى كان من شأنها أن تمهد لقيام دولة تسلسلها مقدمات فيما كان سائدا خلال الحلقات الزمنية فى العصور الوسطى ، وتأتى الاسرة السربدارية ضمن الاسرات التى ظهرت على مسرح الاحداث فى بلاد الشرق ويسرت لهم الظروف الموضوعية فيما دفعت به من دوافع دينية وسياسية وأخرى اقتصادية سبيل الظهور والمشاركة فى تطور الاحداث السياسية فى بلاد الشرق بفعل ذلك الافول الذى طرأ على السلطان الايلخانى بعد نهاية أبى سعيد (١) آخر ملوك مغول فارس العظام .

والامر الجدير بالاعتبار أن مغول فارس قد وجدوا من عوامل الضعف التى المت بالشرق الاسلامى فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى سبيلا لاحتواء هذه النواحى ، وظلوا فترة زمنية طويلة قابضين حاكمين (٢) بفعل السيطرة وما اتخذوه من سياسات تعول على تحقيق استراتيجيتهم التى كانت تدور حول محور واحد وهو تكوين امبراطورية مترامية الأطراف على حساب ضعف المسلمين وحكامهم فى تلك المناحى ، غير ان دولتهم قد اخذت طريقها الى الضعف فى العقد الثالث من القرن الثامن

---

(١) هو تاسع ملوك المغول، وخلف اباه اولجايتو (ت ٧١٦ هـ - ١٣١٦م) وظل على حكم المغول حينا بين (٧١٦ - ٧٣٦ هـ/ ١٣١٦ - ١٣٣٥) ، وكان قيامه الفعلى فى ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م وبعد اخر الايلخانيين العظام (المقريزى : السلوك حـ ٣/٢، ص ٤٠٤ - دائرة المعارف الاسلامية - المجلد الرابع - العدد السادس، صفحة ٣٤٨ - ٣٤٩) .

(٢) عباس اقبال : تاريخ مفصل ايران ، صفحة ٥٥٢، اشير الى ان الاستاذ / الدكتور عبد السلام عبد العزيز فهمى قد اعاننى كثيرا فى الرجوع الى النصوص الفارسية ، وأشكر له جهوده الطيبة .

الهجرى (الرابع عشر الميلادى) بقدر عجل باضمحلال حكمهم المركزى وسقوط ما كان لهم من رقى وازدهار طيلة قرن من الزمان على وجه التقريب ، ومن هنا لم يكن غريبا أن تتساقط أمجادهم ، وتنهار بعد وفاة السلطان ابى سعيد سنة ٧٣٦هـ ، ومهدت هذه الاحوال لبعض العناصر الطامعة المدفوعة بهذا الضعف سبيل الانتشار والارتقاء حتى بات ذلك عاملا مباشرا لأن تقع ولايات المغول تحت حكم الأمراء المحليين فى ظل ايلخانات ضعاف تبوأوا مقعد السلطنة المغولى بعد أبى سعيد ، وتذكر من هؤلاء الملوك ؟ اربع اسرات تقاسموا ملك ايران بعد وفاة أبى سعيد الايلخانى ، حيث شكل الجلائريون (٣) الاسرة التى حكمت فيما بين (٧٣٧ - ٨١٤ هـ / ١٣٣٦ - ١٤١١م) ، والمظفريون فى فارس وكرمان وكردستان فيما بين (٧١٣ - ٧٩٥ هـ / ١٣١٣ - ١٣٩٣م) ، وبنو ايتجو فى فارس (٧٠٣ - ٧٥٨هـ / ١٣٠٣ - ١٣٥٧م) والسربداريون فى خراسان (٧٣٧ - ٧٨٣ هـ / ١٣٣٧ - ١٣٨١ م) ، وملوك كرت (٦٤٣ - ٧٨٤ هـ / ١٣٤٥ - ١٣٨٣ م) ، وكان هناك بطبيعة الحال علاقات تباينت بين الود والعداء بين هذه الدويلات بصورة تشكل فى صيرورتها طريق الشد والجذب فيما فرضته سياسات التوسع والهيمنة عند هؤلاء الملوك والامراء .

ويجدر بنا فى معرض حديثنا عن قيام الدويلة السريدارية ان نلقى ضوءا مختصرا حول الحياة السياسية فى دولة المغول فى عهد أبى سعيد وخلفائه ، وتطورها سلبا أو ايجابا فيما أحدثته من دوافع مشجعة باتت مدعاة لحدوث منعطفات تاريخية فى شتى الولايات المغولية فى بلاد الشرق بعامة ، وخراسان بخاصة .

---

(٣) تعرف باسم (الايلكانيين) وكانت تحكم فى اذربيجان والعراق العربى . حول هذه الاسرات ، انظر الخريطة التى ذيلنا بها البحث ، وأخذناها من (على خان : تاريخ ال مظفر ، الجزء الثانى ، نشر جامعة طهران ١٣٤٢ هـ س .

من الثابت أن دولة الايلخانيين أخذت سبيلها الى الانهيار منذ أوائل سلطنة ابى سعيد ، من جراء تدخل القواد والامراء والمتعصبين من أهل الحل والعقد فى الامور الادارية والسياسية للدولة بصغر سن السلطان حيث تولى العرش وله من العمر اثنتا عشرة سنة عند وفاة والده ، فمثلا عن تدخل الوزراء والصراعات التى دبت فيما بينهم ، وكان ما بينهم من حنق وصدام يشكل خطرا حقيقيا على البلاد .

ومما اتاح للأمراء ، والقواد والطامعين الفرصة للارتقاء وبلوغ السلطان فى تلك الفترة ان ابا سعيد نفسه احتفل بتوليه العرش المغولى فى سن الرابعة عشرة وكانت الضرورة تقضى بأن يسوس أموره تحت رعاية وصى ، ومن ثم أدار دفة دولته فى السنوات العشرة الاولى من حكمه الأمير جوبان (٤) ، وأسهم هذا الامير باختصاصاته فى الارتقاء بسلطان أبى سعيد ، من خلال قيامه بامرة الامراء (٥) وقيادة

---

(٤) كان الأمير جوبان قائدا عسكريا مقتدرا محنكا ، يقول حمد الله مستوفى انه خاض اول معركة له فى ربيع الثانى سنة ٦٨٨هـ (الموافق ابريل / مايو سنة ١٣٨٩م) ثم خدم بكفاية فى ظل الايلخانية ارغون وكيخاتو وغازان واولجايتو وأقامه ابو سعيد (بهادر خان)واكتسب سلطانا عظيما فى تصريف شئون الدولة وكان أبناؤه يحكمون الولايات الهامة فى الامبراطورية الايخانية .
دائرة المعارف الاسلامية ـ المجلد الثالث عشر ـ مسلسل ٩٧ ، ص ٣٦ .

(٥) أمير الامراء وظيفة ظهرت فى العصر الايلخانى على أثر عوامل الفوضى والاضطراب التى احدثها امراء المغول بفعل تدخلهم فى شئون الحكم فى عهد قيامهم بوظائف الجيش فقط ، مما دفع فيما الت اليه الظروف الى ان تأخذ هذه الوظيفة شكلا خاصا ، ومهاما لا يتجاوز صاحبها حد المسئولية على الجيش غير ان بعض امراء الجيوش قد تطور عطهم من الاشراف على تنظيم مالجيش والعناية بأسبابه الى ممارسة العمل السياسى ، والتدخل فى شئون الايخانية حتى صار من اليسير قيامه بالنيابة عن الايلخان والحجر غطيه فى بعض الاحيان كما هو الحال فى علاقة الامير (بوقا) مع ارغون والأمير (نوروز) مع غازان والامير (جوبان) مع أبى سعيد .
واشتد امير الامراء من تدخله فى شئون الايلخانية فى وقت قد قاسى فيه الايلخانيون عوامل الضعف من جراء تلك المحاولات التى اعطها بنو عمهم مغول ماوراء النهر ومغول القبجاق ، لاقتطاع ===

الجيوش وجمعه فى ذلك بين الادارة وشئون (٦) الجيش ، غير ان جوبان لم يرغضائه فى ان ينتهز فرصة قيامه بمنصب امير الامراء فاشتد فى هيمنته وسيطرته على اجهزة الدولة المغولية وسائر نواحيها ، واقبل على تعيين ابنائه فى ادارة الولايات الهامة فى المملكة الايلخانية حتى صارت بأيديهم شئون الدولة يديرونها وفق مشيئتهم ، ولم يرجوبان فى ذلك الوقت منافسا خطيرا ، حتى " تسونج " نفسه الذى عاونه فى ادارة المملكة باسم السلطان الشاب اقتصر فى تكليفاته على شئون البلاط وتربية السلطان .

ومما مهد للأمير جوبان سبيل دخوله فى سياسة قابضة زواجه من أخت السلطان ابى سعيد (ساتى بك) ، فسيطر على البيت الحاكم فترة زمنية طويلة ، وتعاون مع الوزير رشيد الدين فضل الله ، وصار الاثنان فى بدء عهدهما نحو سياسة تعمل على انهوض بالشعب وتأمينه من اخطار الفقر ومتاعب الحياة ، غير ان ما قاما به كان فى اطار رغبة السيطرة والهيمنة وقبضة الحكومه المركزية ، حتى اذا فكر احد من المناهضين فى الخروج عليهما نكلا به وتخلصا منه .

=== جزء من اراضيهم وبالذات فى عهد ابى سعيد ، غير ان هذا الامير قد بذل جهودا موفقة لوقف اطماعهم فخلص منهم فيما هو معروف من احداث ربيع الآخر سنة ٧١٩هـ، ومما يجدر ذكره ان امير الامراء فى العصر الايلخانى كان قد بلغ شأوا عظيما من حيث امتيازاته وصلاحياته حتى بلغ يقطلوشاه الذى كان يشغل وظيفة امير الامراء فى عهد غازان واولجايتو — ان كان يختم بختمه الأحمر على كل شئ ، وكان من البديهى ان يطمع هؤلاء الامراء فى بالمشاركة فى العرش الايلخانى ، والاكثر خطورة أن تحدث هذه الآخيرة كثيرا من الاضطرابات على اثر النزاعات التى دبت بين امراء المغول، وتذكر من ذلك على سبيل المثال تمرد الامير اوقتاى فى كرجستان وقيام الامير جوبان فى عهد ابى سعيد بحطة لوقفه ودرء اطماعه حتى الزمه بالطاعة فى اواخر سنة ٧٣٠ هـ (حول هذه الجزئية — انظر محمد صالح داود القزاز : الحياة السياسية فى العراق فى عهد السيطرة المغولية صفحات ١١٣، ١١٤، ١٥٠، ١٥١، ١٦٩، ٢٠٤، ٢٠٥)

(٦) ميرخواند : روضة الصفا ٥٣١ .

وأول ما يقابلنا من خطورة ذلك النهج الذى اقبل عليه جوبان ان اتخاذه رشيد الدين فضل الله وزيرا قد أوغر صدر الوزير تاج الدين على شاه جيلان التبريزى الأمر الذى ألجا هذا الاخير الى الصاق تهمة بالاول مما كان سبيلا لقتله سنة ٧١٨ (٧)، واستتبع ذلك الاطاحة بذويه الاثنى عشر الذين كانوا فى الحكومة الايلخانية .

على أن جوبان لم ينهض باحكام القبضة والخروج من الفتنة التى اعقبت وفاة الوزير رشيد الدين حتى قيل أن الوزير على شاه استنفر العامة فى مناهضة الدولة مما صار دافعا لهم فى اعمال النهب والتخريب ، وكان من أسوأ مظاهره ذلك الخراب الذى شمل عديدا من المؤسسات فى تبريز الاجتماعية منها والتعليمية والخيرية ، والدينية ، ولم ير الامير جوبان بدا من ابقاء على شاه فى منصب الوزارة ، وظل بها ست سنوات كاملة ، وشاعت أركان الدولة اذ ذاك الخراب والضعف لما عرف به على شاه من سوء التدبير ومحدودية الذكاء ورغبة فى السلطة ، ومما قيل ان الدولة الايلخانية افلست تماما بعد مقتل الوزير رشيد الدين (٨)، ولم تصلح مالية الدولة الا بعد مقتل الأمير جوبان .

أدرك السلطان أبو سعيد ذلك الضعف الذى حل بنوا حى المملكة ، فاسند مهمة الوزارة الى خواجه غياث الدين محمد ، وسرعان ما عادت الى المملكة احوالها الهادئة مما مهد لجوبان سبيل درء المخاطر الخارجية التى اشاعها بعض امراء المغول من حكام الدولة الجفتائية (٩)

---

(٧) اتهمه بأنه تسبب فى قتل السلطان محمد خدابنده، اولجايتو بتدبير مؤامرة دس فيها له السم ، فانهت حياته .

(٨) دائرة المعارف الاسلامية المجلد الأول، العدد السادس ص ٣٤٨ـ ٣٤٦.

(٩) يطلق على مغول التركستان الذين يرأسهم خانات من اسرة جغتاى بن جنكيز خان بالمغول التورانيين والجفتائيين ، وقد اختص جغتاى ببلاد الاويغور (التركستان الشرقية) واقاليم ما وراء النهر وكاشغر وبلخ وغزنة ، وكان جغتاى فى حياة ابيه يشرف على القضاء والعمل على تنفيذ احكام السياسا (قوانين جنكيز خان) وتوقيع الجزاء والعقاب على المخالفين (عبد السلام فهمى : تاريخ الدولة المغولية فى ايران ، صفحة ١٠٠، ١٥٠) .

على اطراف الدولة الايلخانية ، في خراسان ومازنداران (١٠) .

على أن الامير جوبان قد اعترضه بعض أمراء البلاط الايلخانـــي ، وحاولوا ايذاءه والاطاحة به ، غير أن هناك تحولا تاريخيا قد جاء بفعـل تدخل نساء البلاط الايلخاني ، وأفاد منه جوبان كثيرا حيث لقي تدعيـم كل من (ساتي بك) اخت ابي سعيد وزوجة الامير جوبان ، (وقنلـــغ خاتون) زوجة ابي سعيد وانضم أبو سعيد أيضا الى جوبان في صراعه ضـد مناوئيه ، وانتهى الامر بانتصارهما في ٧١٩ ، وصار الامير جوبان بعـد ذلك الانتصار اكثر تثبيتا وحزما ، واطلق عليه لقب الوالد والسيد (آتـا ـ آتـا) اعترافا بفضله في اخماد الفتن والثورات .

غير أن الضعف قد دب الى جسم الدولة الايلخانية بفعل الصـراع الناشيء بين كبار رجال الدولة حول منصب الوزارة ، وكان ذلك الصـراع مريرا حتى بلغ الامر أن استوزر أبو سعيد اربعة وزراء بعد عزل على شـاه في حوالي عشر سنوات فيما بين ٧٢٥ ـ ٧٣٦هـ ، من بينهم من تولى الوزارة مرتين (١١) .

وكان السلطان ابو سعيد قد ادرك خلال هذا الصراع بين الـوزراء ان الامير جوبان ، قد اساء بسياسته دون حسم لذلك الصراع جريا وراء اهوائـه فضلا عن استبداد ابنائه وبالذات ابنه دمشق خواجه ، وانتهى الامر بـأن

---

(١٠) مازندران اسم ولاية في شمال ايران تطل على الساحل الجنوبي لبحـر الخزر (قزوين) ناظم الاطباء : معجم نفيس جـ ٥ ص ٣٠١٢ .
جليل زاهد : ايران زمين ، طهران ص ٦٧٨ .

(١١) وهم على التوالي :

خواجه غياث الدين محمد بن خواجه رشيد الدين فضل الله الوزيـر المؤرخ ، ونصرت الدين عادل النسوى ودمشق خواجه بن الامـير جوبان وخواجه غياث الدين محمد للمرة الثانية ، وتوفى أبو سعيـد ايام وزارته (ميرخواند روضه الصفا صفحة ٥٣٣ ـ ٥٣٤ .

تعقب السلطان ابناء الاسرة الجوبانية بدءا بالتخلص من هذا الاخير فى شوال سنة ٧٢٧ هـ / اغسطس ١٣٢٧م .

وكان ضروريا أن يقبل أبو سعيد على الاطاحة بالأمراء الجوبانيين فى ولاية خرسان وبلاد الروم وبلاد الكرج (١٢) وكرمان ، تخلصا منهم ودرءا لاعمالهم الاستبدادية واعمالا لدعوة التهدئة وعودة الاستقرار فى الولايات (١٣) ومن زعيمهم جوبان على ايدى حاكم كرت فى هراة الملك غياث الدين .

غير أن سيطرة النساء وتدخلهم فى تدبير شئون الدولة فى عهد ابى سعيد بات سبيلا لاضمحلال سلطان الدولة الايلخانية ، ذلك انه على الرغم من أن ابا سعيد قد اعمل السيف فى الاسرة الجوبانية الا انه اوقع نفسه تحت سيطرة بغداد خاتون ابنة الامير جوبان ، وترك لها تسيير تصريف سياسة المملكة الايلخانية الأمر الذى أصاب سياسة وزيره غياث الدين محمد بالفشل والاخفاق ، فخرج الطامعون على أثر ذلك معلنين تذمرهم من سوء تدبيره ، وكان اكثرهم معارضة وضراورة أمير خراسان غير ان السلطان تمكن منهم وأخمد ما اثاروه من فتن واضطرابات ، ولم يقتصر الامر على ذلك ، بل اغار اوزبك خان ملك دولة صحراء (دشت القبجاق) الواقعة على النواحى الشرقية من المملكة الايلخانية ، وعاث فيها فسادا ، فأسرع السلطان ووزيره على رأس جيش لدرء اخطاره ومقابلته ، غير ان المرض قد اشتد بالسلطان ووافته المنية قرب شيروان (١٤) فى ربيع الآخر

---

(١٢) حول التعريف بهذه النواحى ، انظر كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٥٣١ .

(١٣) دعاه الى ذلك ـ ايضا رغبته فى التفرغ للمشاكل الخارجية التى اعترضته من قبل سلطنة المماليك فى مصر (ابو الفدا : المختصر جـ ٤ ، ص ٩٥ـ٩٦ . القلقشندى : صبح الاعشى جـ٧ ، ص٢٥زما بعدها وابو المحاسن : المنهل الصافى جـ ٣ ص ٢٥ .

(١٤) شيروان : احدى الثغور الاسلاميه تقع فى شمال اذربيجان ، وكانت فى القديم احدى ولايات اذربيجان الثلاثه ، وكانت ايضا بحكم موقعها الجغرافى تعتبر القنطرة التى يعبر منها الكرج فى هجماتهم على اذربيجان ، وكان لها واجب دينى مقدس هو صد اعداء الاسلام من الروم والكرج على الديار الاسلامية . وتقع حاليا فى الاتحاد السوفيتى (عبد النعيم حسنين : نظامى الكنجوى ، ص ١٧ ، ٢٥ ، ٥٧) .

سنة ٧٣٦هـ / نوفمبر ١٣٣٥م .

شهدت الدولة الايلخانية فترة حالكه بعد موت ابى سعيد ، فوقعت فريسة لأعنف الاضطرابات مما عجل بها ودخولها فى دور الافول من جراء ذلك الصراع الذى نشب حول وراثة العرش الذى تركه ابو سعيد دون وريث ، وهكذا دب النزاع بين ارباخان (١٥) الذى اعتلى العرش بعد وفاة ابى سعيد (١٦) وبين الايلخان موسى (١٧) ، وانتهى الأمر بعزل الاول فى سنة ٧٣٦ بعد حروب دارت بينهما قرب شاطىء نهر جغاتو (١٨) فى رمضان سنة ٧٣٦ ، غير ان موسى قد تعرض هو الآخر للخلع والعزل بعد أن حكم قرابة شهرين فقط ، وخلفه على العرش محمد خان بتأييد من حسن بزرك ، (حسن الكبير) ، وصار حسن بزرك أميرا للأمراء ، ومما يجدر ذكره أنه بدا فى ايران بعزل الايلخان موسى فترة الخانات المتخاصمين ، ومن مظاهر ذلك ما اقدم عليه حسن بزرك من تأييد انصاره من ذرية هولاكو ومنهم محمد خان ، غير ان طغاتيمور فى خراسان انضم اليه الايلخان السابق موسى فى العراق ، وناهضا الايلخان محمد خان وحسن بزرك امير امرائه ، وتعاهدا على انه فى حاله انتصارهما يقسمان المملكة بينهما ، على ان تكون خراسان والمناطق الشرقية من الدولة الايلخانية من نصيب طغاتيمور ، على حسين تكون المناطق القريبة من اختصاصات موسى خان ، غير ان محمد خان الحق بهما الهزيمة فى سنة ٧٣٧ ، وفر الرجلان ، غير ان طغاتيمور

---

(١٥) ارباخان ، من ذرية اريق بوقا أخي هولاكو الأصغر وكان يسمى أريكاكاون وتم تنصيبه ايلخانا سنة ٧٣٦ هـ ولقب بمعز الدين والدنيا ، وتغلب عليه امراء المغول وتمكنوا من القبض عليه وتسليمه فى الثالث من شعبان سنة ٧٣٦ الى اسرة اينجو حكام شيراز حيث قتل بعد ان حكم ستة اشهر .
ميرخواند : المصدر نفسه ، جـ ٥ ص ٥٣٤ .

(١٦) ميرخواند : المصدر نفسه ، صفحة ٥٣٤ ـ ٥٣٧ .

(١٧) كان يدعى انه من ذرية الايلخان السادس (بايدو) الذى تولى عرش الدولة الايلخانية فى سنة ٦٩٤ / سنة ١٢٩٥م .

(١٨) جغاتو : نهر صغير يقع بجوار مدينة مراغة الواقعة فى ولاية اذربيجان الشرقية (خليل زاهد : ايران زمين ، صفحة ٢٣٥) .

أفلح فى الوصول الى خراسان فى حين قتل موسى خان .

غير أن هناك مجموعة من امراء السلطان أبى سعيد اتفقوا على اقامة حكومة بخراسان (١٩) وقرروا تنصيب الامير طغاتيمور العرش المغولى ونادوا به ايخانا عام ٧٣٧هـ / ١٣٣٧م ، وبذلك اصبح فى ايران ايلخانان ، احدهما فى شرق البلاد والثانى فى غربها (٢٠) .

يتضح لنا مما تقدم الى اى حد كانت الأحوال مضطربة فى الدولة الايلخانية بعد عهد أبى سعيد حيث اذنت بزوال المملكة الايلخانية من جراء تحكم الامراء فى سلطان الدوله وصراع الامراء والوزراء ، وما دار بينهما من نزاعات ، وادت هذه الظروف الى صراع الايلخانات المتخاصمة بعد وفاة ابى سعيد حتى بلغ الامر بان تولى حكم المملكة الايلخانية ثلاث ايلخانات فى اقل من عام واحد ، واعقب ذلك تقسيم المملكة بين الايلخانيين احداهما يرأسها طغا تيمور والأخرى محمد خان .

وواقع الامر انه واكب ذلك الاضمحلال السياسى ضعف اقتصادى ، وجاء ذلك الاخير من جراء سوء تدبير الأمراء حتى رأينا أن الدولة الايلخانية قد دهمها الخراب والعجز المالى بعد وفاة الوزير رشيد الدين فضل الله هذا فضلا عن ذلك التطاحن بين الأمراء ، ومما لا شك فيه ان كل امير كان يناهش منافسه بتدعيم مالى وآخر حربى ولا يتأتى ذلك الا باستخدام الوسائل الغوغائية لسلب الاموال وفرض الاتاوات او الضرائب للحصول على الاموال ، خصوصا فى تلك الفترات التى دهمت فيها البلاد الفوضى والاضطرابات اثر المجاعات المخيفة وعوامل القحط على نحو ما ظهر فى اسيا الصغرى فى اول عهد ابى سعيد فى ٧١٨-٧١٩-٧٢٠هـ / ١٣١٨-١٣١٩-١٣٢٠م .

---

(١٩) من بينهم ارغون شاه بن لوزون وعبد الله بن امير مولاى وعلى جعفر والامير شيخ على بن على قوشجى (حمد الله المستوفى القزوينى نزهة القلوب ص ٢٥٩ ميرخوانـد : المصدر نفسه ، صفحة ٥٤٢ وما بعدها .

(٢٠) Howorth : History of the Mongols vol III P 638.

وأضيف الى ما أسلفنا من عوامل الضعف التى المت بالمملكة الايلخانية منذ عهد أبى سعيد عامل آخر يرتبط بالمسألة العقائدية ، ذلك أنه على الرغم من أن ابا سعيد قد أفلح فى سياساته تجاه دولة المماليك فى مصر ، حين صار بينهما الوئام والمودة ، واجتمع الجانبان حول مذهب السنة ، وعقدوا صلحا فى ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢م بات تدعيما ودافعا لانهاء الخصومة بينهما ، وعلى الرغم أيضا ، من ذلك النجاح الذى احرزه تيمو تاش بن جوبان نائب ابى سعيد فى اسيا الصغرى فى نشر المذهب السنى فى تلك النواحى ، والغى العمل بالمذهب الشيعى الذى كان سائدا فى عهد اولجايتو واعاد العملة لتحمل اسماء الخلفاء الراشدين ، فان ما عول عليه ابو سعيد بوصفه حاكما سنيا متمذهبا على المذهب الحنفى (٢١) من نهج لنشر المذهب السنى فى سياساته الخارجية قد استوطىء بطبيعة الحال عجزا خطيرا ازاء ما احست به الاسرات الشيعية وسائر العناصر فى ايران ونواحيها ، وبات ذلك العامل الدينى الى جانب العوامل الأخرى السياسية والاقتصادية دافعا فعالا نهض بالعناصر الشيعية فى الولايات الخاضعة للايلخانيين لاعلان الثورة على السلطان الايلخانى ، وبانت الثورات الناهضة امرا متوقعا اما بفعل الاحساس بالظلم الذى اثقل الثوار أو بدافع الغيرة والتعصب والرغبة فى نصرة المذهب الشيعى .

ظهور السربداريين

كانت الاحوال فى الولايات الشمالية من ايران منذ عهد السلطان أبى سعيد تنبىء بظهور عناصر من الخارجين على السلطان الايلخانى ، وكانت البيئة الاجتماعية فى تلك النواحى قد مهدت السبيل لتحولات سياسية ابان ذلك الاضمحلال الذى أصاب حكم مغول فارس .

---

(٢١) المقريزى : السلوك ، حـ ٢/٢ ص ٤٠٤ .

ومن بين هذه النواحى الايرانية نيسابور (٢٢) ونواحيها ، حيث كانت الجموع الشيعية منتشرة على مر العصور الاسلامية ، واكثرها ضراوة وفعالية العناصر السكانية فى بيهق (٢٣) ، فعرفوا بتعصبهم للمذهب الشيعى ، واستمساكهم بتعاليمه ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، ومما ساعدهم على المضى قدما فى هذا السبيل ظروف البيئة ، اذ كان يتبع بيهق فى تلك الآونة ثلاثمائة واحدى وعشرون قرية (٢٤) وهى بلاد وقرى مكتظة بالعمارة ، وكانت هذه البلاد مترابطة متداخلة فيما بينها ، وكانت المبانى والعمائر فى كل قرية تتشابك مما جعل هناك اقترابا وتداخلا فى العلاقات الاجتماعية التى صارت بالضرورة تحكمها روح الوفاق بين عناصر المجتمع ، وبات ذلك المظهر الاجتماعى دافعا لأن تكون بالذات - قرى بيهق ونواحيها من البلاد التى عرفت بعناصرها الشيعية فى جميع العصور الاسلامية ، وكان ذلك الضعف الذى طرأ على تلك الجهود الايلخانية فى عهد ابى سعيد يكمن فيما يظهر من عوامل وشواهد فى تلك الظاهرة التى ظلت فى بيهق على مر العصور .

والأكثر شيوعا أن الغلاة من العناصر الشيعية كان تمركزهم فى " باشتين " احدى قرى بيهق ، وخرج من بين ابنائها عناصر ثائرة قدر لها ان تتبوأ بعض المناصب المالية فى نهاية عهد ابى سعيد الايلخانى ، ويدعى احدهم عبد الرازق ابن فضل الله باشتينى ، وكان ابوه فضل الله باشتينى (٢٥) يعمل بالتجارة (٢٦) وكان له من قيامه بمهام التجارة

---

(٢٢) نيسابور ، احدى مدن خراسان ترتفع عن سطح البحر ١٢٠٠ متر وتقع اسفل الناحية الجنوبية لجبل (بينالور) الذى يفصل نيسابور عن اقليم مشهد بخراسان .

(٢٣) بيهق بالفتح وتعنى بالفارسية (الأجود) من اعمال نيسابور (ياقوت ، حـ٢ ص ٣٤٦) .

(٢٤) ياقوت حـ ٢ ، ص ٣٤٦ .

(٢٥) كان يعرف باسم خواجه جلال الدين فضل الله ، وكان له خمسة ابناء هم الامير امين الدين والامير عبد الرازق والأمير وجيه الدين مسعود والأمير نصر الله والأمير شمس الدين .

(٢٦) ميرخواند : المصدر نفسه ، صفحة ٦٠٠ ومابعدها ، حبيب الله شاطوئى : تاريخ ايران ص ٥٣١ ــ ٥٣٣ . لين بول : الدول الاسلامية : القسم الثانى ، صفحة ٥٥٠ .

فرصة الحل والترحال مما أتاح له الاندماج والامتزاج بالعناصر السكانية فى قريته ونواحيها ، وصار لابنائه بفضل ذلك سبيل الانخراط والوقوف على احوال الاهلين (٢٧) ومن ثم وجد عبد الرازق اكبر ابنائه حينما تولى مهمة جمع الضرائب بكرمان (٢٨) ترحيبا وقبولا من اهالى قريته .

وكان أهالى نواحى خراسات قد اعلنوا استياءهم ازاء ما ألم بهم من ظلم وجور عمال وزير خراسان علاء الدين محمد فى عهد طغا تيمور الايلخانى ، فقد نهجوا سياسة غاشمة ، واخذوا الناس بالشدة ، اعمالا لجلب الثروات ، فجابوا النواحى واشتدوا فى جباية الاموال .

وكان عبدالرازق بن فضل الله يعمل فى بلاط ابى سعيد ، وتولى فى عهده مهمة جمع ماليات كرمان على نحو ما اسلفنا ، وكان معروفا بنشاطه المالى اذ ذاك وكان لديه ميول للثورة ازاء ما الم بنواحى خراسان من مزالق احدثها عمال الايلخانيين ووجد فى تلك الظروف فرصة للخروج والتذمر فيما بعد مناهضا للوزير علاء الدين محمد (٢٩) .

---

(٢٧) من ذلك أن امين الدين بن جلال الدين فضل الله وكان يشغل منصبا كبيرا فى بلاط السلطان ابى سعيد مالايلخانى وكان من جملة ندمائه وملازمى الملك وكان فى خراسان ابو مسلم على سرخ خانى ، واشتهر بأنه صاحب قوة بدنية خارقة ومحاربا جسورا لا يخطىء سهمه ابدا وأقلق السلطان فى خراسان . فعرض الأمير أمين الدين على السلطان ان يوجه اخاه عبد الرازق لأبى مسلم لانه الوحيد الذى يمكنه قهره وفعلا تمكن من دحره ، ونال رضا السلطان فعينه جابيا للضرائب فى كرمان . ميرخواند : المصدر نفسه والصفحه .

(٢٨) كرمان، بكسر اوله وسكون ثانيه ، وتقع الى ناحية الجنوب الشرقى من سيزوار حاضرة السربداريين، وكانت تمثل ولاية ايلخانية واستحوذ عليها المظفريون فى عهد بازر الدين محمد سنه ٧٤١ (احمد سعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسرات الحاكمة صفحة ٥٢٦ .

(٢٩) ذبيح الله سفا : تاريخ ادبيات ايران ص ٢٩ ــ ٣٠ .

ومن الغريب ان يكون عبد الرازق هذا من رجال بلاط ابى سعيد ، ووجه القرابة فى ذلك انه ينتسب الى اسرة مذهبية سياسية (٣٠) مما كان سبيلا بالضرورة الى ان ينتهج أبناؤها أسلوبا مغايرا ومعارضا لسياسة ابى سعيد ، ذلك انه من البديهى ان يسعى وهو شيعى للحيلولة دون نشر المذهب السنى الذى اوجد له الأول فرصة للترويح والذيوع ، كذلك كان غريبا ان يتولى عبد الرازق المناصب فى تلك الفترة الأمر الذى يدفع به الى الوقوف على عوامل الضعف التى سادت خراسان بعد وفاة ابى سعيد فى عهد الامراء المتخاصمين .

ولسنا نعرف على وجه الدقة سببا لان يحتل عبد الرازق بن فضل الله تلك المكانة المرموقة بين رجال بلاط ابى سعيد ، غير انه فى الغالب أن ابا سعيد كان يدرك تماما معارضة الشيعة ومؤيديهم وأنه وجد فى اتخاذ الابناء من بينهم للعمل فى الولايات سبيلا لتهدئتهم واستمالتهم .

وعلى كل حال وجد عبد الرازق بن فضل الله هدوءا قصير الأجل عند الأهلين فى باشتين ونواحى بيهق ، وأيقن انهم اذا وجدوا الفرصة سامحة اعلنوا تذمرهم فى وجه حاكم خراسان تخلصا من الاضطهادات المالية ودفاعا عن مذهبهم الدينى .

وتشير المصادر الفارسية الى قيام عبد الرازق الباشتينى بحركه عصيان فى وجه السلطان الايلخانى مدفوعا بهذه الدوافع التى اسلفنا الاشارة اليها ، فيذكر كل من صاحب روضة الصفا (٣١) ـ، وصاحب حبيب السير (٣٢) ـ ان عبد الرازق كان قد اتجه الى كرمان لجمع الماليات فى

---

(٣٠) حبيب الله شاطوئى : المرجع نفسه ص ٥٣١ـ٥٣٣ ، قيل انه ينتسب من ناحية امه الى الحسين بن على المرتضى ، ومن ناحية ابيه الى خالد بن برمك امير خواند : المصدر نفسة ، صفحة ٦٠٠)

(٣١) ميرخواند ، حـ ٥ صفحة ٦٠٠ ـ ٦٠٢ .

(٣٢) خواندمير حـ ٣ ، صفحة ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

عهد ابى سعيد الايلخانى ، واستولى على اموال الجباية دون أن يرسل الجزء الاكبر منها الى خراسان (٣٣) ، حيث انفقه فى اللهو والطرب ولما ايقن ضرورة ادائه للمال الى الخزانة العامة عاد الى قريته باشتين طلبا للاموال وأداءا لما عليه ، وتذكر الرواية انه بدخوله موطنه الاصلى وجد ثورة عارمة واضطرابات بين الأهالى فى وجه علاء الدين محمد حاكم خراسان الذى اثار غضبهم ، بفعل رغبته فى طلب جارية من بينهم لنفسه ، وحكى مير خواند انه ارسل رسولا - قيل انه ابن اخته - الى باشتين طلبا لهذه الجارية من اخوين اسمهما (حسن حمزه وحسين حمزه) غير ان الاخوين قدما الى الرسول اعمال الضيافة واعتذرا عن ايجاد الفتاه فثارت ثائرة الرسول واراد ان يتعدى على نسائهما تغطيه لمطالب دار السلطنة فى خراسان ، فاضطر الاخوان الى منازعته واقبلا على قتله وتخلصا منه .

وكان عبد الرازق بن فضل الله اذ ذاك تعتمل فى نفسه الرغبة فى الثورة والخروج على طاعة السلطان ، حتى انه لم يرغ فاضة بفعل ذلك الظلم الذى استشرى فى النواحى من جراء اعمال حاكم خراسان ان يسعى لاتلاف اموال الجباية التى جمعها من كرمان وادى ذلك الى صرفها فى ابواب اللهو والطرب افضل من ارسالها الى الخزانة العامة ، ومما ساعده فى ان يجد لنفسه نجاحا فى ذلك السبيل وفاة ابى سعيد نفسه ، فأسهم فى تطور الاحداث فى قريته ، وعول على الخروج بالثورة الى سائر النواحى فى بيهق ، وكان الأخوان حسن والحسين ولدى حمزة المشار اليهما قد اقدما بعد مقتل رسول

---

(٣٣) يذكر مير خواند ان مقدار ضرائب كرمان كانت مائة وعشرين ألف دينار منها مائة الف للديوان ويحصل هو على عشرين الف دينار ، ومما يذكره ايضا ان عبد الرازق جمع الضرائب المقررة ، لكن صرفها على الشراب وغيره ، حتى تفد ماله ومال الدولة فانزعج من ذلك وحاول التخلص من ورطته ، فوجدها فى خبر وفاة السلطان ابى سعيد ، ووجد الفرصة سانحه فعاد الدراجة الى باشتين ورفع راية العصيان ، وكان خواجة علاء الدين محمد وزير خراسان انئذ ، واراد عقاب عبد الرازق فجمع الأخير طائفة من الشباب الجسور ، وقتل جماعة من جند الوزير ، وفر الباقون ، ونظرا لكثرة الدماء التى اسالها عبد الرازق خاف الاهلون من سطوته ، فسقاهم لمواجهته اعدائه (ميرخواند : المصدر نفسه ص ٦٠٠ - ص ٦٠٢) .

حاكم خراسان على شق عصا الطاعة معلنين التذمر قائلين لأن تعلق رءوسنا على المشانق خير لنا من تحمل تلك الفضيحة فانتهز عبد الرازق غضب الأهالى فى باشتين امام تلك الفجيعة ، وانضم مؤيدا للأخوين مستنفرا سائر العناصر فى قريته ، وأوجد بذلك ارضا ممهدة للخروج بالثورة ، ومما قيل أن هذا النجاح قد دفعه الى ان يقتل رسلا آخرين جاءوا من قبل حاكم خراسان فى طلب الاخوين لانزال العقوبة بهما ، ونستخلص من أشارات مير خواند (٣٤) ان عبد الرازق بن فضل الله لم يكف عن الرغبة فى استنفار الاهالى داخل قريته مبينا لهم انهم اذا ما تساهلوا كان سبيلهم الى الهلاك والقتل قائلا ، من الخير ان تعلق رؤوسهم على المشانق من ان يقتلوا فى ذلة وخضوع (٣٥) .

وكانت هذه الحادثة التى نشبت فى باشتين بداية لظهور الاسرة السربدارية واصل تسمية سربدار تكمن على نحو ما اورده ميرخواند فى روضة الصفا (٣٦) فى تلك الدعوة التى فجرها عبد الرازق الباشتينى والتى تدعوهم الى الجهاد فى وجه حاكم خراسان وان ادى ذلك الى وضع رؤوسهم على المشانق ، ويروى دولتشاه (٣٧) ان الباشتينيين نصبوا المشانق فى خارج قريتهم ، ووضعوا عليها القلانس والعمائم واخذوا يرشقونها بالحجارة والسهام فعرفوا عند ذلك باسم سربدار اشارة الى انهم قوم يأبون الظلم ويفضلون الى أن يضعوا رؤوسهم شنقا على ان يتحملوا الظلم لحظة .

نشأة الدويلة السربدارية

اتخذ عبد الرازق الباشتينى من قريمته باشتين بداية لحركة توسعيه

---

(٣٤) روضة الصفا ، حـ ٥ ، ص ٦٠٢ .
(٣٥) ابراهيم الشواربى : حافظ الشيرازى ، صفحة ٩٣ .
(٣٦) الجزء الخامس صفحة ٦٠٢ .
(٣٧) تذكرة الشعراء صفحة ١٨٦ ، وما بعدها .

تستهدف اقامة دويلة مستقلة عن الكيان الايلخانى بتأييد من الجموع الشيعية المتمركزة فى تلك الناحية وما جاورها من بلاد ، وكانت الظروف قد جاءت وفق ميوله التى كانت تدور حول محور واحد يرمى الى تكوين كيان مذهبى سياسى ، وكانت العناصر الشيعية الضاربة فى بيهق مدعاة لان يتخذ من الواقع المذهبى سبيلا للظهور فى ثوب حامى الشيعة ومدافعا عنهم ، ورمزا يلتف حوله الراغبون المطالبون بالحرية الدينية واستطابة الحياة المدنية (٣٨) .

انتهز عبد الرازق الباشتينى فرصه خروج جموع باشتين ، ونهض بالخروج معارضا حاكم خراسان علاء الدين محمد بعد وفاة ابى سعيد سنة ٧٣٦ وفى وقت كان هناك من الملوك المحليين من شرع فى الخروج على سلطان الايلخانيين ، ويمكن القول انه فى وقت كان فيه عاملا نافعا فى بلاط ابى سعيد ويحظى بتكريمه قد اخذ فى نفسه املا لاقامة كيان خاص به فى ظل تلك الاحايين التى وصل اسماعه فيها عن قيام بعض هؤلاء بحركات استقلالية ، وظل على ذلك بضعة اشهر حتى اذا وجد الظروف الممهدة فى قريته تنهض نهوضا فعليا فى الاطاحة بحاكم خراسان وموظفيه من عمال المغول ، لذا فان هذه الدويلة شرع فى اقامتها عبد الرازق الباشتينى فيما بين ٧٣٦ - ٧٣٧ هـ / ١٣٣٧ - ١٣٣٨ م .

أخذ عبد الرازق الباشتينى فى مشروعه الاستقلالى مرحلة أخرى ، فبعد ان وطد نفوذه فى باشتين ، ومهد لنفسه عول على سياسة للخروج فى وجه حاكم خراسان ، ويذكر ميرخواند (٣٩) ان عبد الرازق جمع حوله جماعة من أهل بيهق ، وشرع فى الثورة ضد التصرفات الظالمة ، لعلاء الدين محمد ، ودارت بين الفريقين رحى معركة كبيرة فى شهرك نو (٤٠)

---

(٣٨) حبيب الله شاملوئى ، المصدر نفسه ص ٥٣١ - ٥٣٣ .
لغت نامه العدد ١٢٢ ، مادة سيزوار .
(٣٩) المصدر نفسه ، صفحة ٦٠٠ - ٦٠٢ .
ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات ايران ، ص ٢٩ - ٣٠ .
(٤٠) شهرك نو (اى الحى الجديد) .

دارت فيها الدائرة على علاء الدين ، وانتهى الامر بفراره واتباعه الى جرجان حيث التحق بسيده طغاتيمور (٤١) .

خاض عبد الرازق المرحلة التالية على طريق مشروعه الاستقلالي وهي مرحلة الزحف بجيوشه نحو سيزوار (٤٢) ، فمضى اليها ، واحتلها سنة ٧٣٨ هـ ، واتخذها عاصمة لدويلته ويشير خواندمير (٤٣) الى انه اراد ان يصبغ حكمه بصبغة شرعية .

وتشير الدلائل التاريخية الى أن هناك دوافع الجأت عبدالرازق الى النهوض بدخول سيزوار -بالذات -، لعل اكثرها وضوحا هي ان تلك المدينة كانت تحتل مكانة رفيعه بين مدن خراسان ، كما انها كانت حاضرة لبيهق قبل ظهور السريداريين بفترة (٤٤) زمنية ، فضلا عن انها من حيث مكانتها الجغرافية كانت تتوسط كورة بيهق ، والاكثر من ذلك أهمية ان عبد الرازق ايقن سهولة دخولها واحتوائها دون لأئ ، وعناء لما بها من كثرة شيعية عرفت بدراويش الشيعة في الأدب الفارسي ، وليس ادل على ذلك ما ذهب اليه ذبيح الله صفا (٤٥) فيما خلص اليه من أن طائفة السريدارية استطابت حياتها منذ انتقالهم الى سيزوار وسط جموع دراويش الشيعة مما ساعدهم على النهوض بدفع الظلم الواقع عليهم من عمال الايلخان طغا تيمور ، ووجد السربداريون سهولة في ظل هذا المناخ الملائم من الاطماحة بعديد من الموظفين في خراسان في تلك الآونة (٤٦) .

---

(٤١) روضة الصفا ، المجلد الخامس ، ص ٦٠٤ .
(٤٢) سبزوار كانت حاضرة لبيهق وكانت تضم معظم خراسان الحالية واحتلت بذلك مكانة خسر جرد ، وكان العامة يطلقون عليها سيزور ، وسبز تعنى بالفارسية اخضر وسبزور وسبزوار تعنى الخضرة (ياقوت حـ ٢ ص ٣٤٦) .
لغت نامه مادة سبزوار العدد ١٢٢) .
(٤٣) حبيب السير حـ / ٣ ص ٣٥٧ .
(٤٤) ياقوت ، المصدر نفسه حـ ٢ ص ٣٤٦ .
(٤٥) تاريخ ادبيات ايران حـ ٣ ص ٢٩ ـ ٣٠ .
(٤٦) حبيب الله شاملوئى : المصدر نفسه ص ٥٣١ ـ ٥٣٣ .

ويظهر لنا وفق ما أسلفنامن عرض السياق ان السربداريين اقاموا اول دويلة شيعية مستقلة في ظل غيبة السلطان الايلخاني ، بعد ان افلحوا في تفجير ثورة نبعت من الشعب نفسه ولم يقم بهذه الثورة احد أمراء المغول او قادة جيوشهم (٤٧) ـ واستخدمت العناصر الثائرة طريق البطش والقوة ، وكان بديهيا ان تلحق بخراسان الفتن والثورات .

وقصارى القول ان السربداريين بزعامة عبد الرازق الباشتيني نجحوا في تكوين كيان استقلالي عن السلطان الايلخاني عبر مراحل زمنية ثلاثة متقاربة فيما بين (٧٣٦ / ٧٣٨ ١٣٣٦ / ١٣٣٧م) وذلك بشروع هذا الحاكم في التمكين لنفسه داخل قريته الى ان توج عمله بدخوله سبزوار واتخذها حاضرة لحكمه في سنة ٧٣٨ هـ .

السربداريون وسياستهم الداخلية

اتبع السربداريون منذ عهد خواجه (٤٨) ـ عبد الرازق الباشتيني سياسة خاصة تقوم على الاستقلال والانفراد بالسلطة ، فعولوا على احتواء العناصر الشيعية في سبزوار وما جاورها من نواحي في صور تمهيدية تتيح لهم مناخا ملائما للتوسع الذي بات بالضرورة أمرا بالغ الاهمية لامتداد كيانهم الاستقلالي ، ومن ثم صارت سياستهم الداخلية سبيلا لحركتهم التوسعية ، وصارت سياساتهم الداخلية والتوسعية على اثر ذلك تدور في خيوط متشابكة متداخلة ، يصعب على الباحث ان يفصل احداهما عن الأخرى .

---

(٤٧) عبد السلام فهمي : المرجع نفسه ص ٢٤٢ .

(٤٨) خواجة (وتنطق خاجا) كلمة فارسية تعني السيد العظيم وتعادل كلمة Lord في الانجليزية ، والواو فيها معدولة اي تكتب ولا تلفظ وينطق ما قبلها مفتوحا .

واول ما يقابلنا من جهود الحكام السربداريين رغبتهم فى استمالة أهالى النواحى بسياسه ماليه تعول على رفع الظلم الذى لمسوه وعانوا منه طويلا من جراء السياسة التعسفية التى اعملها الايلخانيون فى عهد طغا تيمور ووزيره علاء الدين محمد فاعلنوا لهؤلاء المستوطنين الايرانيين دعوة لرفع الظلم وطرد الغرباء الايلخانيين من البلاد ، واسسوا بذلك اول لبنه لحركة المعارضة وسط تاييد شعبى كامل (٤٩) .

ولما نجح خواجه عبد الرازق اباشتينى فى دخول سبزوار ، نهج سياسة مالية يتجلى لنا فيها الى اى حد كان يرغب فى استقرار البلاد ، فاقبل على تحسين احوال الفلاحين فخفض الضرائب التى كان عمال علاء الدين وزير خراسان قد فرضوها على الزراعيين ، كما سار على نفس النهج وجبه الدين مسعود ، فوزع الاراضى التى كانت تحت تصرف المغول ـ على الزراعيين كما أزال كثيرا من المتاعب التى أثقلت العبيد ، فرفعوا عنهم العقود التى كان بمقتضاها يعمل معظمهم فى الاراضى التى استحوذ عليها عمال الايلخانيين (٥٠) .

وكان اهتمام السربداريين بدرء المفاسد التى سادت احوال الاهالى هائلا وفى الوقت الذى اعملوا فيه العدالة ورفع الظلم عولوا على التمسك باحكام الدين فمنعوا الناس باستصدار احكامهم من احتساء الخمور وتعاطى الحشيش ، بل اعادوا ما كان سائدا فى العهد العمرى سيرته الاولى ، حيث كانوا يقومون بالعسس اثناء الليل للوقوف على احوال الرعية وكان اكثر السربداريين نهوضا بهذه المظاهر الاخلاقية تنفيذا لاحكام الدين (٥١) خواجه شمس الدين على (٧٤٩ ـ ٧٥٦ هـ / ١٣٤٨ ـ ١٣٥٥م) (٥٢) .

---

(٤٩) آ ـ خ ـ خاتيماتون على شيرنوائى وسريداران ، صفحة ٥ .
(٥٠) آ ـ خ ـ خاتيماتون: المرجع نفسه والصفحة .
(٥١) دولتشاه : تذكرة الشعراء ص ١٨٩ .
(٥٢) خواندمير : حبيب السير حـ ٣ ، ص ٢٦٣ .

غير ان السياسات المالية التى سار عليها السربداريون عولت على احتواء عناصر الجنود وطائفة الموظفين بوصفهم عدة الدولة والقائمين على حمايتها وشئونها الداخلية ، وعلى سبيل المثال اقبل شمس الدين على رعيته بما ينطوى على الود واللين . فاقر لهم المواجب (٥٣) على نظام صرف الرواتب نقدا ، وليس باطلاق الحوالات على نحو ما كان سائدا فى ايران فى الأزمان السالفة ، وبلغ عدد الموظفين واكثرهم من الجنود - الذين كانوا يتقاضون المواجب من الدولة حوالى الف وثمانمائة موظف ، وكان شمس الدين على قد فرض جهازا للماليات لاتخاذ الحيطة والحذر فى صرف الايرادات فى هذه الابواب ، وجعل قائما عليه رجلا من بين الجنود يدعى حيدر فصاب ، غير ان هذا الاخير نهج سياسة غاشمه ، واستولى على جزء من الأموال وأودعه فى حيازته الامر الذى اوجد الوقيعة بين الرجلين ، وانتهى الامر بأن اشتد شمس الدين على فى طلب الاموال التى استولى عليها حيدر ، فأقبل هذا الاخير بتأييد من يحيى كراوى (٥٤) وقت صلاة العشاء على شمس الدين وقتله (٧٥٣ هـ / ١٣٥٣م) (٥٥) .

غير ان سياسة شمس الدين المالية تجاه رعيته على هذا النحو لاتقلل من شان رغبته فى نشر الفضيلة والتمسك باهداب الدين ، ونرى انه كان جديرا به ان يستميل الرعية من الجنود والموظفين ما استطاع الى ذلك سبيلا اعمالا للاستقرار وتحقيق الاستراتيجية ، كما انه ليس من الصحيح ان يفرض سياسة مالية تنهج فى الاصل حدوث تفرقة بين عناصر

---

(٥٣) المواجب : كلمة عربية دخلت الفارسية وتعنى الحقوق المالية والرواتب الشهرية ، سليمان حابيم ، معجم فرهنك جامع - بانكليس المجلد الثانى ص ١٠١٤ .

(٥٤) دولتشاه : تذكرة الشعراء صفحة ١٩٠ .

(٥٥) يذكر صاحب روضة الصفا :
ان خواجه شمس الدين على السربدارى قتل فى شهور سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، وانه حكم أربع سنوات وتسعة اشهر (ميرخواند ، صفحة ٦١٩) .

المجتمع ، وهو الساعى الى نشر العدالة .

كما أن قيام شمس الدين على بضرورة ان يقوم كل صاحب مطلب من الجنود بكتابة وصيت نامه (٥٦) ليقوم بفحصها والوقوف على حوائجهم لا يعنى انه خصص جهوده لهذا السبيل ، بل كان ذلك فيما يختص سبيلا لتوجهاته فى الداخل ، والتمهيد لتهدئة البلاد فى اعقاب عزل سلفه شمس الدين فضل الله الذى كان ميالا للهو والطرب فضلا عن استيائه على قدر اربعة احمال من الحرير من خزانة الدولة (٥٧) مما اوغر بطبيعة الحال - صدر الرعية ، واطمع طغا تيمور فى الاغارة على الولايات ومن ذلك كان شمس الدين حازما ، عنيفا فيما يتصل باموال الدولة .

على اننا لا تاخذ بصحة ما جاء فى المصادر الفارسية من ان شمس الدين أمر حيدر قصاب باعادة ما أستحوذعليه من اموال ، ولو الجأه ذلك الى ادائها بطريق الفاحشه ، وارتكاب المعاصى ، ذلك انه ليس من المعقول أن يجبر شمس الدين عامله على الماليات بالدخول فى هذا المعترك اللا اخلاقى معارضا بما يعتمل فى نفسه من مثل وفضائل ونذكر فى هذا السبيل انه كان قد عرض عليه من قبل طائفة الدراويش الحكم بعد قتلهم لمحمد آيتمور (٧٤٧هـ / ١٣٤٦م) ، فاعتذر بانه درويش ولا قبل له باحوال الدنيا (٥٨) ، كما انه اذا اخذنا بصحة هذه الاشارة ، نزعم بأن شمس الدين على اراد ان يشعر حيدر قصاب بان الحفاظ على مالية الدولة لا يقل شانا عن الحفاظ على الاعراض ومنع المحرمات ، فاستنفره استنهاضا ليعيد الى الخزانة ما اخذه من مال ، ومما يجدر ذكره ان شمس الدين لم

---

(٥٦) وصيت نامه ، تعنى الوصية ، معجم حاييم ص ١١٦٩ مركبه من كلمتين ، وصيه عربية ونامه فارسية اى كتاب امر . سالة الوصية .
(٥٧) دولتشاه : المصدر السابق ، صفحة ١٨٩ .
(٥٨) ميرخواند، روضة الصفا ، حـ ٥ ص ٦١٥ ، ٦١٦ .

يقتل بايدى الدرواويش الذين صار اليهم بفعل نفوذهم الدينى القدرة على ازالة حكام الطائفة السربدارية اذا لم يسيروا وفق ما تمليه اغراضهم ، وما ترمى اليه مقاصدهم ، بل كان قتله على ايدى حيدر قصاب نفسه بتاييد من احد امراء الطائفة السربدارية وهو على كراوى ، على أنه مما أفسد احوال الدويلة السربدارية ، وجعلها لا تنعم بالاستقرار والبقاء فترة زمنية طويلة ما كان بين السربداريين من وقائع وخصومات كانت فى معظمها مجهولة ، ومات تسعة منهم مقتولين كما ان عددا كبيرا منهم كانوا من مماليك وجيه الدين مسعود الحاكم الثانى بعد أخيه خواجه عبد الرازق الباشتينى ، ومنهم أيتمور محمد (٧٤٥ / ٧٤٧ هـ - ١٣٤٤ / ١٣٤٦ م) ، وكلوا اسفندبار (٧٤٧ - ٧٤٩ هـ / ١٣٤٦ - ١٣٤٨ م) ويحيى كراوى (٧٥٩ - ٧٦٠ هـ / ١٣٥٥ - ١٣٥٨ م) ومنهم ايضا طهير الدين كراوى اخو يحيى كراوى (٧٥٩ - ٧٦٠ هـ / ١٣٥٨ - ١٣٥٩ م) وحيدر قصاب (٧٦٠ - ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ - ١٣٥٩ م) وكان مملوكا لشمس الدين على (٥٩) .

ونعرف ان النزعة المملوكية تكفل لاصحابها نهج القوة وفرض الارادة والوصول للحكم بهذا النهج كثيرا ما يحدث الدسائس والفتن بين امراء جماعة السربدارية الأمر الذى أدى الى كثرة التغيير بين الحكام ، وقصر مدة حكمهم ، حتى رأينا من بينهم من تولى الحكم اربعين يوما فقط وهو خواجه طهير الدين كراوى ، ومنهم من تولاه اربعة أشهر فقط مثل حيدر قصاب ، كما أن الفترة التى يتولى فيها من ليس بمملوك مثل الامير لطف الله ولد الامير وجيه الدين مسعود سرعان ما ينتهى حكمه الى زوال ازاء مطامع القادة وغيرهم من الطامعين ، وهكذا لم يتبوأ هذا الأخير مقعد الحكم السربدارى سوى اربعة أشهر فقط .

من هذا اجمعت المصادر الفارسية فيما ورد الينا من اشارات ان عوامل

---

(٥٩) حبيب الله شاطوئى : المرجع نفسه صفحة ٥٣١ - ٥٣٣ .

الضعف والانهيار اخذت بسبيلها الى الظهور فى الدولة السربدارية بعد وفاة وجيه الدين مسعود بن فضل الله (ت ٧٤٥ هـ) واخذ الاضطراب يسود انحاء الدولة (٦٠) .

ومن الشواهد التى امد تنابها هذه المصادر ان حكم السربداريين اخذ يتباين بين طريق الضعف والقوة بعد وفاة وجيه الدين مسعود ، وكان اكثر هذه العهود استقرارا وظل فترة زمنية طويلة بالقياس الى غيره من العهود عهد الامير شمس الدين على الذى استمر زهاء سبع سنوات .

واذا تناولنا هذه القضية بنظرة فاحصة ندرك ان العناصر الشيعية التى التفت حول الطائفة الدينية الشيعية المعروفة باسم الدراويش قد اسهمت بدور بالغ فى تطور الاحداث السياسية فى نواحى الدويلة السربدارية ، ذلك ان استقرار هذه النواحى لم ينشأ الا اذا كان هناك ود ماثل بين الحاكم السربدارى وطائفة الدراويش على حين كان الامر مغايرا لذلك فى وقت دبت فيه الخصومة بين الجانبين .

ومن المعروف ان وجيه الدين مسعود اتخذ من الشيخ حسن جورى وطائفته تدعيما لحكمه - وبلوغ سلطانه (٦١) .

وكان جنوح بعض الحكام السربداريين الى اتخاذ سياسة قابضة بفعل رغبتهم فى السيطرة على أمور الدويلة مدعاة لظهور تلك الفجوة بين هذين الفريقين ونذكر على سبيل المثال تلك السياسة التى انتهجها محمد آتيمور (٧٤٥ - ٧٤٧ هـ) الحاكم الثالث ، وعول بها على الانفراد بالسلطة ، مناهضا بذلك رغبة الدراويش - اتباع شيخ حسن جورجى -

---

(٦٠) حول هذه الجزئية ، انظر ميرخواند : المصدر نفسه صفحات ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤ . وذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات ايران ص ٢٩ - ٣٠ .
(٦١) ذبيح الله صفا : المرجع نفسه ، ص ٢٩ - ٣٠ .

فى احتوائه ووقوعه تحت سيطرتهم ، ومما قيل ان محمد آيتمور استمال جماعة من مشاهير القرى والاثرياء وقربهم اليه ، مدعما حكمه بعدد غير قليل ممن يحفلون بالنهب لدرء مخاطر الدراويش ، وانتهى الامر بقتل محمد آيتمور فى ٧٤٧هـ وتولى من بعده كلوا سغنديار (٦٢) .

ولم يكن محمد آتيمور على نحو ما كان سلفه من رجال الفضل والادب ولم يعكف على الاخذ بما يرغبه العامه ، فاطاح بذلك جهود وجيه الدين مسعود فيما اوجده من قاعدة متينة (٦٣) الامر الذى اوجد ساحة للمعارضة وبالذات فئة الدراويش .

على انه ينبغى الا يفهم من سياق الاحداث التى اسلفنا الاشارة اليها من ان محمد آتيمور انتهج فى سياسته الطعن بمذهب الشيعة ومعارضة أهله ، بل كان يتمذهب وفق تعاليم هذا المذهب ، وكل ما فى الامر ان الذى دار بين الفريقين يشكل صراعا حول الحكم ، ورأى هذا الحاكم من وراء هذه المناهضة استبعاد الدراويش عن التدخل فى شئون الحكم .

والحق ان ذلك النزاع الناشىء بين السربداريين والدراويش قد بدا منذ اواخر عهد الامير وجيه الدين مسعود ، وأدى الى مقتل زعيم الطائفة الشيعية شيخ حسن جورى (٦٤) فدبر له هذا الاول مؤامرة بشكل يدعو الى الاسترابة مما ينهض دليلا على انه فى سلطان زعيم الدراويش قوة ضاربة مهدت للسربداريين فى عهد مسعود سبيل التوسع والامتداد الامر الذى أوجس هذا الاخير منه خيفة ، ولم يتردد فى الايعاز بقتله والتخلص منه .

---

(٦٢) مير خواند : المصدر نفسه حـ ٥ ، ص ٦١٥ وما بعدها .
(٦٣) حول رغبة وجيه الدين مسعود فى نشر الفضيلة ومعارضته لمرتكبيها انظر دولتشاه : تذكره الشعراء ص ١٨٧ : حبيب السير حـ ٣/٢ ص ١٥٧ وذبيح الله صفا : تاريخ أدبيات ايران ص ٢٩ ـ ٣٠ .
(٦٤) مير خواند : المصدر نفسه ، صفحة ٦٠٧ ويذكر مير خواند انه قتل فى قلعة بازر (انظر المصدر نفسه والصفحة) .

كان من الضرورى أن يلجأ خلفاء محمد آيتمور الى العناية بأمر الدراويش وكسب ولائهم فعملوا على استرضائهم ، ومن ذلك ما اقدم عليه خواجه يحيى كراوى منذ أن تولى الحكم فى سنة ٧٥٦هـ على الاهتمام بطائفة الدراويش ، فقربهم اليه ، واجزل عطاءه الموفور على أهل العلم وطلابه ، فضلا عن احسانه على الفقراء الامر الذى ساعده على الاحتفاظ بنفوذ كلمته بين الناس ، ونجح بتلك السياسة الموفقة فى القضاء على طغا تيمور الايلخانى سنة ٧٥٤ هـ ، غير انه بازاء منازعة الامراء داخل البيت الحاكم لم يتمكن من مواصلة الحكم ، حيث قتل على يدى أخى زوجته عز الدين بريس (٦٥) .

واستمر خلفاء يحيى كراوى على نفس السياسة ، فلم تحدث هناك مواجهة بين الدراويش والسربدارية طوال حكم خواجه ظهير الدين كراوى وبهلوان حيدر قصاب والامير لطف الله وجيه الدين .

غير انه فى عهد حسن دامغانى الذى تولى حكم سيزوار فى ٧٦٢ هـ خرج احد اتباع الدراويش ويدعى الدرويش عزيز والذى كان من مريدى شيخ حسن جورى ، واستنهض كثيرا من مريديه ، ودخل طوس ، غير ان الأول سرعان ما استردها دون رغبة فى قتل الثانى مكرمه لتدينه وحفاظا على حياته (٦٦) الامر الذى لا يخفى بما فى ذلك النهج من دلاله توصى بانه عول على تهدئة ثائرة الدراويش ، واحتواء مؤيديهم من العامة .

---

(٦٥) يقول مير خواند اجتمع جماعة من اتفق عليهم خواجه يحيى كراوى ورباهم وكان من بينهم عز الدين بريس اخى زوجته فاختبأ له وطعنه طعنة قاتلة فى ظهره ولكن خواجه يحيى تحامل على نفسه وسدد ضربة قاضية لقاتله فوقع كلاهما على الأرض (وفارقا الحياة) وخلفه فى الحكم ابن اخته خواجه ظهير الدين .

(٦٦) دولتشاه تذكرة الشعراء صفحة ١٩٢ .
كان الدرويش عزيز اذ ذاك يقيم فى مشهد واستنفر بها اتباعه للخروج على سلطان حسين الدمغانى ، ومما يذكر انه بعد هزيمته انتقل الى أصفهان طائعا محملا بالهدايا .

ومما يجدر ملاحظته ان سلطان الطائفة الدينى كان كثيرا ما يظهر بين حين وآخر على اثر ذلك الخلاف الناشىء بين قادة السربدارية . كما كان ذلك السلطان كثيرما ما يحدث تغييرا فى حكم الدويلة السربدارية ، ذلك ان عنصر القوة والسياسة القابضة كانت تدفع احد ابناء هذه الاسرة فى سبزوار الى النهوض لاستخلاص الزعامة من الامير الحاكم ، ولم يرغ غضاضة هذا الاميرا او ذاك من الاستعانه بزعماء رجال الدين رغبة فى الاطاحة بسلفه وتنصيب نفسه حاكما بدلا منه ، وهكذا قفل خواجه على مؤيد (٦٧) في دامغان (٦٨) ، حيث خرج على سلطان حسن الدمغانى ، وتحالف مع الدراويش ، فطلب من الدراويش عزيز الذى كان قد رحل الى اصفهان بضرورة مساندته ، فوقف الى جانبه ، وامده بمجموعة حتى تجح فى دخول سبزوار دون لاى ، ومما قيل انه اقبل على وزير دامغانى في سبزوار وقتله ، وظل من بعد ذلك متعقبا حسن دامغانى نفسه ، فاقبل هذا الاخير على طلب الشفاعة من زعيم الدراويش عزيز علىه يوصى به خيرا ، غير ان الأمر انتهى بقتله فى ٧٦٦ هـ (٦٩) وتولى من بعده على مؤيد .

لم يكف خواجه على مؤيد عن سياسة التحالف مع طائفة الدراويش ، ومضى فى سبيل ذلك بالعناية بأهل العلم وطلابه ، فقرب اليه العلماء ، وبالغ فى اظهار الامامية ، غير انه صار فى هذا السبيل فى اطار انفراده بالسلطة دون ان ينازعه أحد فى الحكم ، ذلك انه فى الوقت الذى لقى فيه السادات والعلماء من اهل الشيعة حظا كبيرا من عنايته دأب على ان يمهد لنفسه مناخا يسوده الاستقرار ، فاقبل على اثر ذلك نحو التخلص من درويش عزيز وطائفته ، غير انه اخفق ، اذ سرعان ما خرج عليه فى سبزوار سنة

---

(٦٧) آل اليه الحكم بعد حسن الدمغانى وكان اخر حكام الدويلة السربدارية .

(٦٨) من نواحى خراسان ، ويحسبها الجغرافيون من المدن الكبيرة ، وتقع فيما بين الرى ونيسابور (ياقوت العجم البلدان حـ ٤ ، صفحة ٦٢٦) .

(٦٩) مير خواند : روضة الصفا حـ ٥ ، ص ٦٢٢ .

٧٧٨ هـ احد الدراويش ويدعى ركن الدين . وافلح هذا الاخير فى التمكين لنفسه بهذه الحاضرة حتى قيل انه سعى ليذكر اسمه فى الخطبة ، وانه نجح فى ذلك التاييد الذى لقيه من المستوطنين بداخل المدينة ، ولم ير على مؤيد يدا فى طلب العون من حاكم مازندران الذى لجا اليه بهذا الخصوص وتم له ما اراد ، وانتهى الأمر بفرار ركن الدين (٧٠) .

ومما لاشك فيه ان ذلك النزاع الذى الجا ركن الدين الى الفرار قد اوقع الوقيعة بين خواجه على مؤيد وبين الدراويش من اتباع حسن جورى وجعل للحكم السربدارى فى خراسان طريقا مسدودا محفوفا بالمخاطر الامر الذى افقد راس السربدار بين على مؤيد هيمنته وسلطانه ، وظل الامر على تلك الحال حتى وقع هذا الأخير فريسة للاطماع التى اشاعها تيمور كوركان ، ولم تفلح جهوده فى سبيل البقاء على الحكم ذلك لان تيمور كان قد استماله فترة حتى اذا وجد فرصة لتنفيذ استراتيجيته التوسعية أقبل عليه وقتله فى ٧٨٨ هـ ، ومما يذكر ان خواجه على مؤيد هذا قد اصابه الضعف والوهن وقت كان تيمور قد أخذ فى الزحف على مدن خراسان حتى كان الحكم فى سبزوار اذ ذاك فى ايدى اتباع الشيخ حسن جورى بصورة فعلية (٧١) .

والأمر الجدير بالاعتبار انه لم يكن هناك ثورات شعبية خرجت لمناهضة الحكام السربداريين زهاء نصف قرن من الزمان مما يشير الى ان هؤلاء لم يألوا جهدا فى سبيل السعى نحو تحسين احوال اهالى خراسان ورفع المعاناة عنهم .

وقصارى القول ان حكام سبزوار مالمعروفين من الاسرة السربدارية ايقنوا نفوذ الطائفة الشيعية ، فاستمالوا زعماءها فى غالب الاحايين ، مما

---

(٧٠) مير خواند : روضة الصفا حـ ٥ ص ٦٢٤ .

(٧١) ابن عربشاه : عجائب المقدور فى نوائب تيمور ، صفحة ١٩ .

أوجد ذلك المناخ فيما وقع بينهم من خصومات بفعل ضعفهم من بعد شمس الدين على كما كان الحكم مضطربا على اثر عدم انتمائهم لنسب واحد ، فضلا عن ما كان بينهم من عناصر مماليكيه دابت فى الوصول الى الحكم بطريق القوة والبطش ، وكان ظهورهم بتاييد من رجال الصوفية وكان ضعفهم - ايضا - على اثر منازعة من هؤلاء لسياساتهم .

سياسة التوسع السربدارى

قلنا ان السربداريين اتخذوا سياسة خاصة تنطوى فى معظم الاحيان على الود واللين تجاه رجال التصوف ، فضلا عن عنايتهم الفائقة بالجنود والموظفين املا فى التمهيد لحركة توسعية ناجحة ، ومما ساعدهم على ذلك بطبيعة الحال سخط الاهالى بنواحى البلاد من جراء سياسات تعسفية اعملها طغا تيمور خاصة وزيره خواجه علاء الدين محمد ، فنهضوا للتوسع على حساب ضعف الدولة الايلخانية فى نواحى خراسان بعد أن وطدوا نفوذهم فى سبزوار ، واتخذوا بحسبانهم اساليب الاستنفار التى كان لها دور هائل بين جموع اهالى البلاد الذين تلمسوا الاسباب للتخلص من ظلم وجور حاكم خراسان .

كان طبيعيا ان يكون الصدام بين السربداريين والعناصر التركمانية الحاكمة لنواحى خراسان فى عهد الايلخان طغا تيمور فى طليعة الحركة التوسعية السربدارية ومما يجدر اعتباره ان اكثر هذه التوسعات كانت فى عهد وجيه الدين مسعود الحاكم السربدارى الثانى ، ذلك ان الاول منهم وهو عبد الرازق الباشتينى اقتصرت جهوده على النشأة وقيام الدويلة فى سبزوار بقوته البدنية وجرأته ، فى حين كان الثانى منصرفا الى التوسع فى أرجاء خراسان ، الأمر الذى جعله مؤسسا حقيقيا للدويلة ، وفى عهد هذا الاخير اتسعت الدويلة ، وامتدت حتى شملت كل انحاء خراسان ، ويمكن القول ان هذا الاخير تمكن فى خلال سبع سنوات ان يقر قواعد الدولة ، واسس دعائمها وجاء من بعده حكام سربداريون اخرون بحسبانهم الحفاظ على ما ورثوه من بلاد فى خراسان ، ونجح فيه البعض ، على حين اخفق

الكثيرون منهم ازاء عوامل عرضنا لكثير من جوانبها ، حتى انتهت حكم هذه الاسرة دون ان يتجاوز نصف قرن من الزمان ، ونستخلص من المصادر أن الاسرة السربدارية بادىء ذى بدء عولت على استئصال شأفة المغول (٧٢) وكان وجيه الدين قد ادى دورا هائلا فى عهد اخيه وسلفه عبد الرازق فى دخول سبزوار ، لما اثبته من كفاءة فى تحريك العناصر المتحاربة وحركات الالتفاف والمباغته حتى صار علامه بارزة ، ورمزا للبطولة بين اوساط المؤرخين الايرانيين ، الذين كانوا يحسبوه صاحب الانتصارات والفضائل فى نشر التشبع ، واحيائه فى ايران ، ولم يكن غريبا ان يصير له لقب سلطان وينفرد به دون حكام السربدارية .

رأى وجيه الدين ضرورة التمهيد لنفسه فى سبزوار ، فاتخذها قاعدة له قبل ان ينطلق الى نواحى خراسان ، فعول على ان ينتهز فرصة الصراع بين السنة والشيعة فى خراسان لتدعيم ارائه المذهبية ، ولتحقيق امال اهالى الشيعة الذين وجدوا فيه نصيرا وبطلا عظيما ، فاقبل على تخليص الشيخ حسن جورى من محبسه فى بازر مناهضا بذلك فقهاء السنة ، وأرغوتشاه التركمانى حاكم خراسان الذى اودع الشيخ حسن جورى السجن (٧٣) ، وصار لمسعود على اثر ذلك مؤيدون كثيرون يمثلون قوة ضاربة من مريدى هذا الزعيم الشيعى ومناصريهم (٧٤) .

ولما فرغ مسعود من ضم جموع الشيعة الى جانبه ، اتجه بانظاره الى نواحى خراسان ، وكان اكثر حكامها خطورة اذ ذاك ارغو نشاه حيث كان يحكم من هذه النواحى نيسابور وطوس ، ونسا ، وحوارق ، جوران ، جنوشان .

---

(٧٢) حبيب الله شاملوئى : المرجع نفسه صفحة ٥٣١ ــ ٥٣٣ .
(٧٣) خواندمير حبيب السير ، حـ ٣/٢ صفحة ٣٥٨ ــ ٣٦٠ .
ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات ايران ، ص ٢٩ ــ ٣٠ .
(٧٤) مير خواند : المصدر نفسه حـ ٥ ص ٦٠٤ .

كانت نيسابور تمثل فى أذهان وجيه الدين مسعود اخطر المدن الخراسانية لما تتسم به من الكثرة السكانية ، ولما لها من اهمية جغرافية لقربها من سيزوار ولما تتمتع به من خيرات وثروات ، فاعد عدته بجيش كبير لم تذكر المصادر عدده وعدته واتجه الى نيسابور فى اول حكمه ، فدخلها ، ولم تفلح جهود أرغونشاه الذى ارسل اليه جيشا كثيفا من اربع الاف جندى ، واتجه على اثر هزيمته صوب طوس (٧٥) .

كان دخول وجيه الدين مسعود نيسابور ٧٣٨ هـ بداية لحركة توسع كبيرة وبداية - ايضا - لظهوره ، وارتقاء شخصيته ، فبدخوله نيسابور تملك - الجزء الرئيسى من خراسان ، فضلا عن تحكمه فى الشريان الرئيسى لولاية خراسان التى كانت تعد فى ذلك الوقت معبرا تجاريا هاما يصل اليه المارون والمقاصدون الى الرى (٧٦) وسلطانية (٧٧) وبغداد .

حاول ارغونشاه فى العام اللاحق (٧٣٩هـ) استرداد نيسابور غير انه اخفق ازاء جسارة مسعود وجنوده (٧٨) .

---

(٧٥) ميراخواند : المصدر نفسه ص ٦٠٤ وما بعدها .

(٧٦) بفتح الراء وياء مشددة ، تقع بين الاقليمين الرابع والخامس ويحسبها الجغرافيون ضمن بلاد الديلم ، (المقدسى : احسن التقاسيم ، ص ٣٥٣) . وهرب اكثرها ٦١٧ هـ من جراء الغزو التترى - (ياقوت : المصدر نفسه حـ ٣٤ ص ٣٥٥ - ٣٥٦ - القزوينى : اثار البلاد ، ص ٣٣٠ . كما ان ما بقى من هذه المدينة قد تعرض لغارات تيمور لنك ، ولم تقم لها قائمة ، وحلت محلها طهران العاصمة بحيث ترى خرائب مدينه الرى فى جنوب طهران ، وكان لها من الشهرة فى القديم أكثر فى انها دخلت فى الكثير من اللغات فقى الانجليزيه Royal (ملك) والفرنسية Le Rou (ملك) .الاسبانية Royal .

(٧٧) سلطانية ، مدينة أذربيجان ، اتخذها اولجايتو الايلخانى المغولى حاضرة له ، ولا تزال اثارها قائمة حتى الان .

(٧٨) ميرخواند : المصدر نفسه صفحة ٦٠٤ وما بعدها .

لم يكف وجيه الدين مسعود عن فكرة غزو النواحى الخراسانية ، فاتجه بعد ضمه نيسابور الى جرجان وكان عليها اذ ذاك على كاون اخى طغا تيمور ، فدارت بين الجانبين معركة حامية الوطيس كان النصر فيها حليف مسعود ، حيث قتل على كاون (٧٩) ، الامر الذى مهد للأول سبيل التوسع فى جرجان (٨٠) واتجه منها الى النواحى الجبلية حيث دخل قوهستان (٨١) ونواحيها ومما هو جدير بالذكر ان هذه النواحى معروفة بتمركز العناصر الشيعية (٨٢) مما افاد مسعود منه كثيرا ، فانطلق بين مغلوز وشعاب الشيعة بتاييد من الشيخ حسن جورى، ولم ير طغا تيمور الذى كان على جرجان اذ ذاك بدا من الفرار الى الاقصران بعد ان الحق به مسعود الهزيمة عند شاطىء نهر ارك (٨٣) .

ضعف امر طغا تيمور على اثر تلك الهزيمة ، ولم يكن فى حوزته اذ ذاك سوى ناحية مازندران (٨٤) وظل يحكمها ، غير انه كان يتلمس الاسباب للاغارة على املاك السربداريين ، وسرعان ما انتهز فرصة الضعف

---

(٧٩) ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات ايران ص ٢٩ ـ ٣٠ .

(٨٠) جرجان (احدى ولايات ايران تقع جنوب غرب بحر الخزر واخرجت العديد من العلماء والادباء والمؤرخين .

(٨١) بضم اوله ثم السكون ثم كسر الهاء ، وسين مهملة ، وهى تعريب لكلمة كوهستان فيقال قهستان ومعناها موضع الجبال ، فكو تعنى الجبل ، وكثيرا ما تخفف نطق الكلمة فيقولون قهستان ونظرا لأن مدلول هذه الكلمة تشير الى مواضع ونواصى الجبال فاطلقت هذه الكلمة على كثير من نواحى ايران ، غير أن هذه الناحية التى نعنى بها قهستان أو قوهستان التى تتصل بنواحى هراة ، فتمتد اطرافها فى الجبال بنواحى كثيرة من هراة ونيسابور من بينها نهاوند وهمذان ، وبروجرد ، وظهرت قهستان هذه فى المصادر العربية على انها الناحية التى غزاها عبد الله ابن عامر سنة ٢٩هـ زمن الخليفة عثمان بن عفان ، ومن المعروف ان قوهستان ونواحيها من الجبال التى ظلت فترة زمنية طويلة فى أيدى أتباع حسن بن الصباح (ياقوت : المصدر نفسه حـ ٧ ، ص١٨٧ ـ ١٨٨) وكان قد استولى عليها هولاكو بصعوبة وقضى على الاسماعيلية تماما .

(٨٢) ياقوت : المصدر نفسه والصفحات .

(٨٣) ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات ايران ، صفحة ٢٩ـ٣٠).

(٨٤) لم يستطع السربداريون الاستيلاء عليها على الرغم من الانتصارات السريعة التى حققها وجيه الدين مسعود بنواحيها ، ذلك انه قد انتهى امره على ايدى قواده ، مما احدث شقاقا بين القوات السربدارية ، وبقيت مازندران على اثر ذلك فى حوزة طغا تيمور (ذبيح الله صفا : المصدر نفسه ص ٢٩ ـ ٣٠) .

الذى الم بالحكم السربدارى ، فاغار على نواحى نيسابور فى عهد الامير شمس الدين فضل الله اقل الحكام السربداريين شأنا . غير ان الظروف لم تكن مواتية لطغا تيمور ، اذ سرعان ما اقبل الامراء السربداريون على شمس الدين فضل الله ، وخلعوه واستبدلوا به ٧٤٩ خواجه شمس الدين على ، فاعاد هذا الاخير ما كان للحكم السربدارى من رقى وازدهار على نحو ما كان سائدا ايام وجيه الدين مسعود فاضطر طغا تيمور الى ان يسلك سبيل الدعه والمهادنة فطلب من شمس الدين على الصلح ، وتم له ما اراد (٨٥) .

لم يكف خلفاء شمس الدين على عن فكرة التوسع على حساب ضعف ما بقى من نواحى الايلخان طغا تيمور ، فعهد يحيى كراوى فى سبيل ذلك قيادة الجيش الى بهلوان حيدر قصاب ، فاستخلص هذا الاخير طوس من امراء التركمان الخاضعين لطغا تيمور حيث كان عليها كل من جانى كرمانى وامير على رمضان ، ودفع هذا النصر يحيى كراوى الى التخلص من طغا تيمور ، ويبدو أن هذا الاخير قد الجأه خبر الاستيلاء على طوس الى تهديد يحيى كراوى ، فارسل اليه يطلب خضوعه واستسلامه ويذكر صاحب مطلع السعدين انه ارسل رسولا الى كراوى يطلب منه التسليم والخضوع فاظهر كراوى الاستسلام وقصد فى ثلاثمائة من عسكره الى معسكره ، وبقى فى ضيافته اياما ، وفى يوم من الايام دخل على طغا تيمور واخذ يحادثه ، فتقدم احد اتباعه المسمى بحافظ شتانى ، وضرب طغا تيمور بسهم أصابه فى مفرقه ، فلما وقع اسرع يميى بالاجهاز عليه ، وكان ذلك فى سنة ٧٥٤ هـ (٨٦) .

لم تكن سياسة التوسع السربدارى مقصورة على نواحى خراسان من عمال طغا تيمور ، بل امتدت الى ان صارت اكثر اتساعا ، واوسع شمولا ، اذ صار من

---

(٨٥) ميرخوند : روضة الصفا جـ ٥ ، ص ٦١٩ .
(٨٦) ابراهيم الشوابى : المرجع نفسه ، صفحة ٩٦ .

السبهي ان يتجه السربداريون بانظارهم الى النواحي الايرانية الاخرى والتي كانت تخضع لاسرات حاكمة ، استقلت بها بعد وفاة ابي سعيد الايلخاني وصار بالضرورة ان يحدث التصادم بين هؤلاء والاسرة السربدارية في اطار استراتيجية كل اسرة والتي كانت تدور جملة وتفصيلا حول محور واحد هو التوسع على حساب ضعف الدولة الايلخانية وكان اكثر هؤلاء الحكام تصادما مع السربداريين ، حكام ال كرت في هراة (٨٧) وحكام آل مظفر في فارس وكرمان وكردستان .

صارت الاراضي السربدارية في عهد وجيه الدين مسعود تلاصق اراضي مملكة ال كرت وبالذات من ناحية نيسابور التي استولى عليها مسعود ووطد حكمه بها . ومن ثم صار التصادم بين ال كرت والسربداريين امرا مفروضا ، فسعى مسعود الى تطويق الاراضي المؤدية الى هراة ، في حين لجا ال كرت الى مناهضتهم ومنع توغلهم حفاظا على مملكتهم ، خاصة انهم ادركوا ان مسعودا قد دانت له خراسان بدخوله نيسابور وانه بسبيله الى الاتجاه صوب اراضيهم .

حول وجيه الدين مسعود سنة ٧٤٣ على السير بالطريق المؤدي الى

---

٨٧) ملوك كرت او آل كرت بفتح الكاف أو ضمها مع تشديد الراء وهي طبقة من الحكام المحليين بالمنطقة الشرقية من ايران تمكنت من اقامة دولة شملت شرق وشمال شرقي ايران واستمر حكمهم زهاء مائة واربعين سنة (٦٤٣-٧٨٣هـ) وصارت هراة عاصمة حكمهم ، ومن المعروف ان ملوك هراة من آل كرت يرجعون في الاصل الى السلطان سنجر اخر مالسلاجقة العظام ، على حين ان جدهم لامهم كان عز الدين عمر بن محمد الميرغني الذي التحق بخدمة غياث الدين محمد بن بهاء الدين الغوري ، الذي من قبله حاكما على هراة ، وقد اسس رأس هذه الاسرة شمس الدين محمد دولة الكرت في هراة سنة ٦٤٣هـ/١٣٤٥م . حبيب الله شاملوائي : المصدر نفسه ، صفحة ٥٣٥ ، ابراهيم الشواربي : حافظ الشيرازي ، صفحة ٨٩-٩٠ ، احمد سعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسرات الحاكمة ج٢ صفحة ٥٣٣ .

هراة (٨٨) فالتقى بجيش آل كرت بامرة معز الدين حسين آل كرت (٨٩) بمكان يسمى " زاوه " من ناحية نيسابور تجاه هراة ، ودارت بين الفريقين رحى معركة رهيبة كان النصر فيها بادى ذى بدء حليف السربداريين بفعل ذلك الدور البطولى الذى ابداه اتباع الشيخ حسن جورى ، غير ان وجيه الدين مسعود اخطا التقدير ورأى ضرورة التخلص من الزعيم الدينى لما له من نفوذ وسلطان ، فاشار على اتباعه بقتله ، وتم له ما اراد ، غير ان ذلك اوجد تشتتا بين صفوف المتحاربين فاستغل معز الدين ال كرت هذا الضعف واستجمع قواه ، والحق الهزيمة بالحاكم السربدارى (٩٠) الذى فر هاربا ، راغبا فى الاتجاه نحو ماذندران حيث كانت من ولايات طغا تيمور الايلخانى علة يجد مراغما وتعويضا عما الحقه من هزيمة (٩١) وكانت لهذه الهزيمة التى منى بها وجيه الدين مسعود على ايدى الامير الكرتى اسوأ الاثر على جهود لاحقيه من حكام سبزوار ، فلم نسمع عن حملة عسكرية سربدارية منذ ذلك الوقت اتجهت صوب هراة حتى عهد على مؤيد آخر حكامهم ، بل كان الامر على العكس من ذلك ، فكثيرا ما كان آل كرت يتجهون بانظارهم صوب نيسابور ، وتلمسوا الاسباب لدخولها وضمها الى هراة ، وهيأت لهم الظروف التى ادخلت سبزوار فى هوة من الفوضى والاضطراب سبيل النجاح فى هذا السبيل ذلك انه فى الوقت الذى دعا فيه على مؤيد الى الامامية مذهب الاثنى عشرية وآل البيت ونقشه اسامى الائمة على المنابر (٩٢) لقى عداوة وحنق فقهاء الحنفية

---

(٨٨) قيل انها من بين المدن الخراسانية التى بناها الاسكندر المقدونى (انظر ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٩٦) .

(٨٩) كان معز الدين (هذا) الحاكم قبل الاخير لدولة آل كرت وظل حاكما عليها قرابة الاربعين عاما فيما بين ٧٣٢هـ/ ٧٧١ـ ١٣٣١/١٣٧٠م) معاصرا بذلك الفترة التاريخية المضطربه فى تاريخ المشرق الاسلامى (حبيب الله شاملوئى : المصدر نفسه ، صفحة ٥٣٥ وما بعدها) .

(٩٠) مير خواند : المصدر نفسه ، صفحة ٦٠٧ .

(٩١) ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات ايران حـ ٣ ص ٢٩ ـ ٣٠ .

(٩٢) ابن عربشاه : عجائب المقدور صفحة ٢٠ .

في هراة مما الجأهم الى استنهاض غياث الدين بن علي بن معز الدين (٩٣) اخر حكام آل كرت ودعوته بوجوب محاربته ، كما انه في نفس الوقت الذي لجأ فيه هذا الحاكم السربداري للتمكين لنفسه وبسط نفوذه عول على التخلص من شيخ عزيز راس الطائفة الدينية .

كان من البديهي ان ينهض غياث الدين آل كرت امام هذه الدوافع المشجعة الى نيسابور على راس جيش كثيف ، ومما قيل ان علي مؤيد السربداري كان قد ارسل الدرويش الشيخ عزيز لمحاربة آل كرت رغبة منه في القضاء عليه والتخلص منه الامر الذي الجأ هذا الاخير الى الفرار صوب العراق ، وانتهى الامر بدخول غياث الدين آل كرت نيسابور ، حيث استولى عليها في ٧٧٧ هـ (٩٤) .

واجهت علي مؤيد صعوبات بالغه امام اخضاع الدرويش من جانب وعجزه ازاء محاولات ال كرت الناجحه في نيسابور من جانب اخر وظل على تلك الحال فترة زمنية طويلة غير انه سرعان ما ضعف امر ال كرت بعد حين في ظل حكم غياث الدين ال كرت ازاء اطماع تيمور لنك وانتهى الأمر بان وقعت الاسرتان في قبضة هذا الاخير .

أما أسرة آل مظفر التي استقلت عن حكم الايلخانيين (٩٥) فقد

---

(٩٣) ظل على حكم هراة ، فيما بين ٧٧١/٧٨٤هـ - ١٣٧٠/١٣٨٣م ، وسقطت الدولة في عهده على أيدي تيمور لنك ، حيث ارسله هذا الأخير الى سمرقند وقتله وابنه في اخر سنة ٧٨٣ هـ .

(٩٤) ميرخواند : المصدر نفسه ، صفحة ٦٤٥ .

(٩٥) هيأ لقيام هذه الدولة مظفر الدين حفيد غياث الدين حاجي مؤسس الاسرة منذ ان التحق بخدمة (اتابكه يزد ، وخدمة الايلخانيين ايام ارغون وكيخاتو وغازان محمود سنة ٦٩٤هـ/ ١٣٩٤م) واولجايتو محمد ، وظل مظفر الدين هذا يمهد لدولته الجديدة منتهزا فرصه نفوذه في عهد هذا الايلخان الاخير وبالذات ولايته على ميبد بجوار اصفهان - حتى توفي سنة ٧١٣هـ / ١٣١٣م) وتولى ولده مبارز الدين محمد الحكم والقيادة العامة على يزد سنة ٧١٩هـ في عهد السلطان ابي سعيد الايلخاني ، ونجح هذا الاخير في توسيع دائرة دولته فضم كرمان سنة ٧٤١هـ واصفهان وامتدت توسعاته حتى تبريز حتى اذا جاء حكم شاه شجاع الذي تولى من ===

قدر لابنائها أن يظلوا في الحكم بنواحي كرمان واصفهان وشيراز ويزد في وقت كان فيه السربداريون يعانون الضعف والوهن في عهد حاكمهم الاخير خواجه علي مؤيد وعلى الرغم من ذلك فان اسرة ال مظفر لم تكن فيما يبدو تتجه بانظارها الى النواحي السربدارية على اثر ذلك العامل الجغرافي الذي باعد بينهم وبين تلك النواحي على عكس ما كان بين هذه الاخيرة واراضي ال كرت حيث ربطت بينهما الطرق مما اوجد اهمية استراتيجية وحضارية تاتي بالضرورة من الحلات بين الطرفين ، ومن الثابت أن آل مظفر شهدوا في عهد شاه شجاع الذي تولى حكم الدولة المظفرية سنة ٧٦٥ هـ قدرا من الازدهار والاستقرار مما اوجد بالضرورة الرغبة لدى هذا الحاكم المظفري في انتهاز حالة الضعف التي ألمت بالسربداريين في سبزوار على عهد علي مؤيد ، وهكذا لجا اليه في فارس ٧٨٠ هـ الدرويش ركن الدين احد اتباع الشيخ حسن جوري ، وطلب مساعدته للوقوف في وجه ظلم خواجه علي المؤيد السربداري مدفوعا بما الحقه من عناء بطائفة الدراويش وقتله الشيخ عزيز ، ولبى الشاه شجاع طلبه ، وامده بجيش كثيف وانتهى الامر بدخول ركن الدين سبزوار ، واستولى عليها ، غير ان علي مؤيد لجا الى امير ولي حاكم جرجان ومازندران ، فامده هذا الاخير بجيش استعاد به سبزوار ، واخرج منها ركن الدين (٩٦) .

يتضح لنا مما تقدم ان سياسة التوسع السربداري اخذت طريقها الى الزوال ، في عهد علي مؤيد ، ولم تعد هناك جهود توسعية على اثر عوامل الضعف التي مرت بهذه البلاد حتى بلغ الامر بأحد زعماء دراويش الشيعة من دخول سبزوار بجيش كثيف كان قد أرسله اليه شاه شجاع المظفري ، كما انه ليس ببعيد على الاذهان ان يكون المظفريون بحسبانهم التوسع على حساب ضعف الاسرة السربدارية ، غير ان الظروف لم تكن مواتية ، فسرعان ما وقعوا - ايضا - في قبضة تيمورلنك .

== بعده وصارت فارس وكرمان وكردستان من ممتلكات هذه الاسرة الى ان استولى عليها تيمور ٧٨٩ هـ ، غير ان ابناء هذه الاسرة ظلموا في الحكم حتى انقرضت دولتهم على ايدي تيمور لنك ٧٩٥ هـ احمد سعيد سليمان ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٢٦ .

(٩٦) ميرخواند : روضة الصفا ، الجزء الخامس ص ٦٢٤ .

وقصارى القول ان وجيه الدين مسعود الحاكم السربدارى الثانى قد رسم بنجاح خططا عسكرية اعمالا لتحقيق استراتيجية توسعية على حساب الضعف الايلخانى فى عهد طغا تيمور ، وناهضا - ايضا - فى توسعاته حتى وصل الى اطراف الدويلات المجاورة ، وحافظ خلفاؤه على ما ورثوه من ممتلكات ، غير ان الصراعات الداخلية حالت دون ذلك، وانتهى الامر بوقوعهم فى قبضة تيمور لنك .

سقوط الدولة السربدارية

يتضح لنا مما اسلفناه انه قد مهد لسقوط الاسرة السربدارية في خراسان عوامل عديدة ، تدور في معظمها حول النزعات الداخلية بين السربداريين من جانب وبينهما وبين الدراويش من جانب آخر .

وواقع الامر انه لم يكن هناك نظام سياسي واضح المعالم في خراسان ابان الحكم السربداري ، غير انه ليس هناك خلاف حول مبدأ التوريث في الحكم الذي ساد حياة الاسرة الحاكمة ، بوصفها اسرة سياسة مذهبية ، وحتى هذا المبدأ لم يكتب له النجاح على الدوام ، ذلك انه في اطار هذا المبدأ استجمع السربداريون بما فيهم الامراء ومماليكهم قواهم لتبوأ موقع الزعامة ، ومن ثم صار بالضرورة ان تحدث المفارقات فيما ذهب اليه النظام السياسي عبر منعطفات سياسية متضاربة ، بحيث صار من الطبيعي ظهور تغاير سريع الحدوث بين حين واخر حول تطبيق مبدأ التوريث في الحكم ، وليس أدل على ذلك ما ظهر من تباين في شكل الحكم السربداري ، فكان هناك ، استقرار في أركان الدولة وقت ان كان على الصدارة حاكم ينتمي الى الاسرة الباشتينية الخالصة على نحو ما كان معروفا ابان حكم عبد الرازق ووجيه الدين وشمس الدين على ، على حين كان الاضطراب والتوتر سائدا ابان حكم الامراء المماليك المنتسبين لهذه الاسرة فيما حدث من احوال مضطربة ايام محمد ايتمور ويحيى كراوى وبهلوان حيدر قصاب ، ويرجع هذا التضارب فيما يظهر من كتابات المؤرخين الى ان هؤلاء الحكام بطبيعة الحال لم يكونوا جميعا من بيت واحد ويظهر من الشواهد ان اسماء آباء معظمهم مجهولة ، كما انه ليس غريبا على اثر ذلك ان تنتهي حياة تسعة من اثني عشر حاكما سربداريا بالقتل .

والحديث عن نظام الحكم السربداري يرتبط بدرجة كبيرة بعنصر آخر بالغ الخطورة فيما يدور حول موقف العناصر الشيعية والدينية في

خراسان ذلك انه على الرغم من ان هذه الاخيرة قد اسهمت بدور ايجابي فعال في قيام الحكم السربداري بخراسان ، وافساح المجال لابنائهـــا لاداء مهام جليلة القدر في العمليات التوسعية ، الا أنه لم يكن بوسع السربداريين بفعل رغبتهم في بلوغ المجد والسلطان ان يتخذوا اشكالا وصورا تتيح للعناصر المستوطنة في النواحي الخراسانية من السنـــة والشيعة فرصة المشاركة في الحكم في ظل مبدا التوريث فيما هو معهـود من انظمة البيعة وولاية العهد ، وغير ذلك ، ومن ثم ظهر التعـارض والتغاير بين ما اتخذه السربداريون من نهج سياسي في حكم البـلاد ، وبين قيام هذه الدويلة التي انشاها وغيرهم من الاهلين المستوطنين .

واول ما يقابلنا من شواهد ذلك الضعف الذي الم بالحكـــم السربداري ما حدث في عهد حسن الدمغاني على اثر نزاعه مع الدرويـش عزيز مما دفع العناصر المغولية الضاربة في الصحراء الى شن الغـارات على حاكم جرجان واستخلصوا منه استر اباد وبسطام (٩٧) ودمغـان وغيرها من النواحي مما افقد السربداريين مستغلات هذه النواحي .

وسبق لنا الاشارة عن ذلك النزاع الناشيء بين علي مؤيد ، وزعماء الدراويش وزعيمها ركن الدين ، وما آل اليه مما آذن بزوال هذه الاسرة ، اذ سرعان ما وقع علي مؤيد تحت تأثير تيمور كوركان (٩٨) الذي اتبـع

---

(٩٧) بسطام : من اقليم سمنان وتتبع شاهرو (خليل زاهـد ـ ايران زمين ص ٧٦٦) .

(٩٨) استطاع تيمور باستراتيجيته التوسعية ان يكون دولة مترامية الاطراف فدخلت في حوزته سمرقند وخوارزم وهراة ١٣٥٣/٧٨٥ ، وشمال فارس ٧٨٦هـ/١٣٨٤م واذربيجان وجورجيا سنة ٧٨٨ـ ٧٨٩/ ١٣٨٤ـ١٣٨٨م ، وحوض نهر القلجا والهند ، واستمر في توسعاته حتى نشر اطماعه في العراق ٧٩٥هـ/١٣٩٤م ، ومنها اخذ يتجه صوب اراضي الدولة المملوكية في الشام ، حيث دخل عديدا من نواحيها ٨٠٣ هـ (حول هذه الجزئية انظر : ابن عربشاة : عجائب المقدور ص ٥ ـ ١٤ ابو المحاسن النجوم الزاهرة حـ ٢ ص ٢٥٦ .
Malcolm: the History of Persia, p 265-296.

تجاهه سياسة هادئة فى بداية الامر فاستماله حتى صار السعوبة بين يديه (٩٩) وحكى ابن عربشاه (١٠٠) جانبا من احوال تيمور وسياساته تجاه الشيعة فى خراسان فيما يوحى بأنه عول على جذب العناصر الخرسانية فى صور تمهيدية لاحتواء ـ اهالى هذه البلاد ، من ذلك تلك الرواية التى تشير الى أن تيمور لنك اقبل سنة ٧٨٣ هـ على رجل شريف من اهالى سيزوار يدعى السيد محمد السربدال ، وكان معروفا مشهورا بالمآثر والفضائل ولديه جماعه عرفوا بالشطار (١٠١) واستماله ، وقربه اليه ، طالبا منه (فيما تشير به باسيدى السيد قل لى كيف استخلص ممالك خراسان واحويها) ، وظل به حتى اشار عليه بعد عناء بان يستدعى خواجه على مؤيد (قطب ملك هذه الممالك ومركز دائرة هذه المسالك) كما انه من خلال ذلك الحوار وقف تيمور لنك على مواطن الضعف والقوة فيما ينبغى ان يعرف من علامات شخصية هذا الرجل حيث عرف انه على الرغم من انه رجل (سليم ، وظاهره وباطنه واحد) مما ينبىء عن عجزه وقلة حيلته الا ان الجميع من الرعية من السنة والشيعة انصاعوا له على نحو ما اشار عليه الشيخ من ان (طاعة الناس منوطه بطاعته ، وافعال الكل مربوطة باشارته ، فما فعل فعلوا فان حط حطوا ، وان رحل رحلوا) ، وكان تيمور لنك فى اطار علمه بجوانب شخصية الحاكم امير سيزوار ، يرى ـ انه من الافضل ان يسعى الى هذا الاخير مستخدما نهجا سيكلوجيا كان قد رسمه شيخ الشطار محمد السربدالى (١٠٢) (اى السربدارى) حيث أشار عليه هذا الاخير بألا يترك من (انواع الاحترام والتوقير والاكرام والتكبير شيئا الا وارسله اياه ..... وان ينزله منزلة الملوك العظام فى التعظيم والتوفير والاحترام ..... ، وهكذا بحث تيمور رسولا الى على مؤيد ومعه رسالة فى طلبه وتذكر الرواية ان عليا هذا نهض سريعا الى تيمور الذى استقبله استقبالا ينم عن تعظيمه وتوفيره حيث قدم له (الهدايا الفاخرة والطرائف

---

(٩٩) دولتشاه : المصدر نفسه ، صفحة ١٩٤ .

(١٠٠) عجائب المقدور ، صفحة ١٩ وما بعدها .

(١٠١) الشطار هم جماعة الفتيان وكانوا من الشيعة وشعارهم قول سيدنا على كرم الله وجهه لا فتى الا على ، ولاسيف الا ذو الفقار .

(١٠٢) حول هذه الاحداث انظر ابن عربشاه المصدر نفسه صفحات ١٩ و ٢٠ و ٢٥ .

الملوكية والزخائر الكسروية) وابقى على ولايته وظل على مؤيد على تلك الحال فترة زمنية فى ظل رعاية تيمور ومراقبته .

ولا ننسى ان تيمور لنك قد سلك نهجا اخر تجاه اهالى خراسان ، حيث عاش بينهم ظاهرا ميوله المذهبية ، وراى ان غالبية النواحى السربدارية تسير وفق هذا المذهب ، الامر الذى اضطره الى ان ينشر جموعه بين العناصر الشيعية ، ومما قيل ان ذلك النهج سار عليه تيمور لنك فى كل حملاته التوسعية فى بلاد الشرق (١٠٣) .

وعلى كل حال فقد استخدم تيمور لنك سلاح المكر والدهاء بادىء ذى بدء عله يجتذب اليه اهالى خراسان من الشيعة ، فضلا عن احتواء البيت السربدارى الحاكم حتى اذا ما اصابه التمكن والسيطرة على شئون خراسان وادرك انه لم يعد بحاجة الى على مؤيد امر بقتله ٧٨٨ هـ حينما كان يشارك فى احدى معاركه (١٠٤) .

وواقع الامر ان موت على المؤيد السربدارى كان سببا فى فناء آلاسرة السربدارية ، وانقراضها ، غير ان نهاية الحكم السربدارى كان قبل ذلك بحوالى خمس سنين ، وعلى وجه التحديد ٧٨٣ هـ حينما وقع على مؤيد تحت وطأة تيمور لنك وصار فى سيزوار طوع يمينه ومنصاعا لأوامره ، بل مشاركا فى معاركه (١٠٥) .

وقصارى القول ان الحكم السربدارى فى خراسان اخذ طريقه الى زوال على آثر ذلك الشكل السياسى فى الحكم والذى كان يحمل بين طياته بذور ضعفه فى وقت كان قد اصتدم بتيار مذهبى مناوىء مما ادى الى تفجير الصراع بين السلطة الحاكمة ورجال الصوفية الشيعة زهاء اربعين عاما بعد

---

(١٠٣) ابن عربشاه صفحات ٩٦ ـ ٩٨ .
(١٠٤) ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات ايران حـ ٣ صفحة ٣٠ .
(١٠٥) ميرخواند : المصدر نفسه ، صفحة ٦٢٥ .

وفاة وجيه الديـن مسعود ، وظل الامر على تلك الحال من الضعـــــف حتى سقطت هذه الاسرة فى قبضة تيمور لنك اشارة الى ان هذه الاســـــرة الحاكمة اقامت حكمها على انقاض الممالك المغولية والايلخانية وانقرضت — ايضا — على ايدى العناصر المغولية من غير الاسرة الهولاكية .

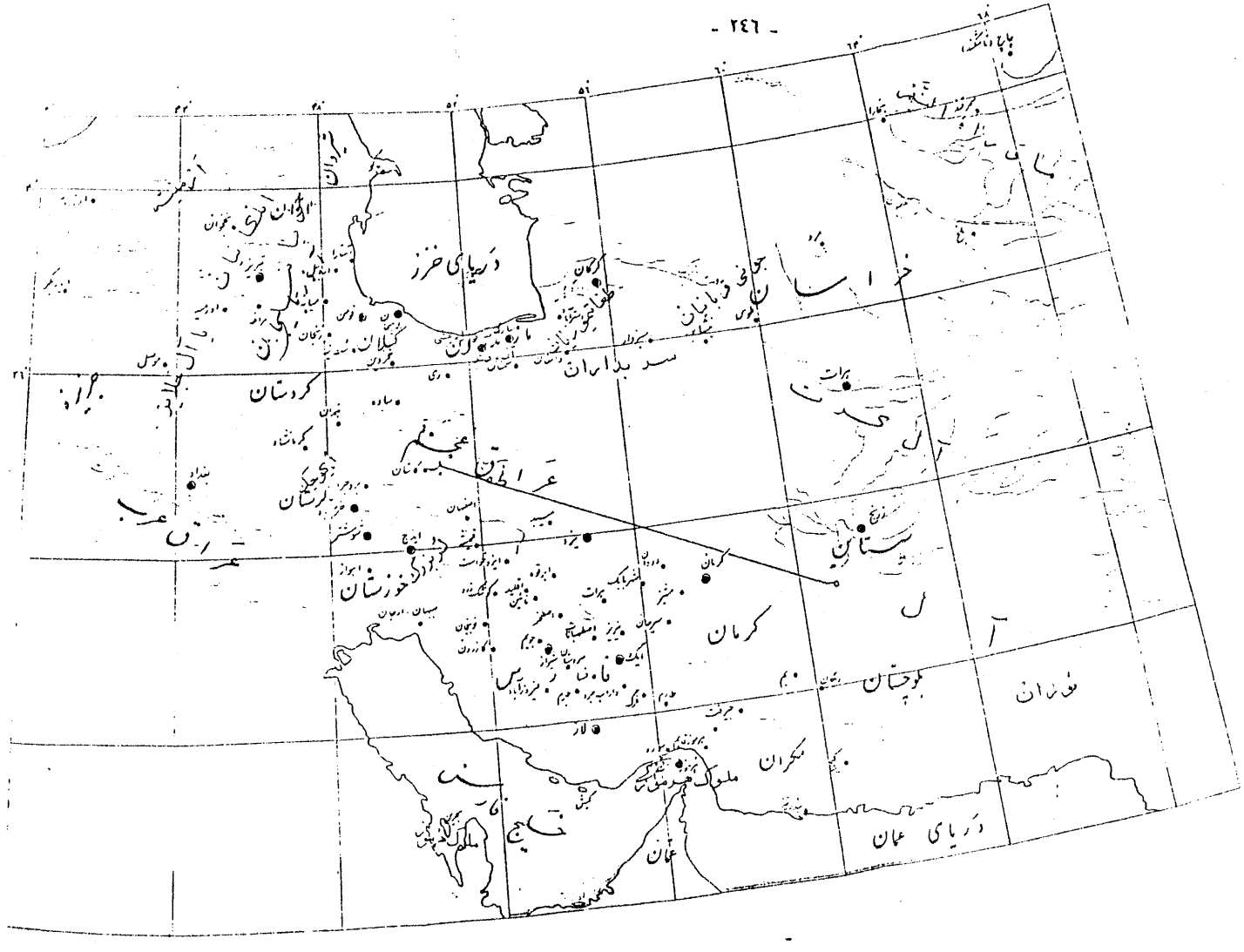
دریای خزر
خراسان
کردستان
عراق عجم
فارس
کرمان
بلوچستان
مکران
دریای عمان
خوزستان
لرستان
کهگیلویه
سیستان
هرمز
عمان

المصـــادر والمراجـــع

أولا : المصادر العربية والفارسية القديمة

١ - ابن تغرى بردى (جمال الدين يوسف بن تغرى بردى ، ت ٨٧٤ هـ / ١٤٩٦م) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهـــرة الجزء الثانى عشر طبعة مصورة من نسخـــة دار الكتب المصرية .

٢ - ـــــــــــ المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى - الجـــزء الثالث القاهرة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م .

٣ - ابن عربشـــاه (شهاب الدين ابو العباس أحمد بن محمد بـــن عبد الله بن عربشاه الدمشقى الحنفى ت ٨٥٤ هـ ـ ١٤٥٠م . عجائب المقدور فى وقائع (نوائـــب) تيمور مصر ١٢٨٥ هـ .

٤ - ابن العبـــرى (غيريغوريوس أبو الفرج بن هرون الملطى المعروف بابن العبرى ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦م) تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية للأبـاء اليسوعيين بيروت ١٨٩٠م .

٥ - أبو الفـــدا (عماد الدين اسماعيل - ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١م) المختصر فى أخبار البشر ، حوادث سنة ٧٣٢ .

٦ - حمد الله المستوفى (أبو بكر بن أحمد بن نصر القزوينى - ت ٧٥٠ هـ) نزعة القلوب ، تحقيق محمد بير سياقى ، نشـــر مكتبة طهورى طهران ١٣٢٩ هـ ، ش .

٧ - خواندمـــير (غياث الدين بن همام الدين - ت ٩٤٢ هـ) حبيب السير فى أخبار أفراد البشر، الجزء الثالث ، طهران سنة ١٣٣٤ هـ ، ش .

٨ - دولتشاه السمرقندى (أمير دولتشاه بن علا ، الدولة ت ٩٠٠ هـ)
تذكرة الشعراء طهران ، ١٣٣٨ هـ ٠ ش

٩ - القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود - ت ٦٨٢ هـ)
آثار البلاد وأخبار العباد ، نشر دار صادر
بيروت ١٩٦٩م ٠

١٠- القلقشندى (ابو العباس احمد - ت ٨٢١هـ)
صبح الاعشى فى صناعة الانشا ، الجزء السابع ،
القاهرة ١٩١٤م٠

١١- المقدسى (شمس الدين ابو عبد الله محمد (ت ٣٨٧ هـ /
٩٩٧م)
أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ، ليدن ١٩٠٩

١٢- المقريزى (تقى الدين أحمد - ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢
السلوك لمعرفة دول الملوك - الجزء الثانى - القسم
الثانى ، تحقيق محمد مصطفى زيادة القاهرة ١٩٤٢

١٣- ميرخواند (مير محمد بن سيد برهان الدين خواوندشاه
الشهير بمير خواند (ت ٩٠٢ هـ)
روضة الصفا ، المجلد الخامس ، طهران ١٣٢٩ هـ ٠ ش

١٤- ياقوت الحموى (شهاب الدين بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٣٠٨م)
معجم البلدان ، جزءان ٢ ، ٧ - القاهرة - ط
السعادة ط أولى ١٩٠٦ - ١٩٢٣م ٠

ثانيا : المراجع العربية والفارسية الحديثة

١٥- ابراهيم امين الشواربى
حافظ السيرازى ، دار المعارف القاهرة ١٩٤٤ ٠

١٦- احمد السعيد سليمان

تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسرات الحاكمة ، الجزء الثانى ، نشر دار المعارف القاهرة ١٩٧٢ .

١٧- حبيب الله شاملوئى

تاريخ ايران أرماد تابهلوى (من الماديين حتى البهلوى) طهران سنة ١٣٤٧ هـ . ش .

١٨- جليل زاهد

ايران زمين (بلاد ايران)
طهران سنة ١٣٤٨ هـ . ش .

١٩- ذبيح الله صفا

تاريخ ادبيات دير ايران (تاريخ الأدب فى ايران) المجلد الثالث ، القسم الاول ، طبعة طهران سنة ١٣٤١ هـ . ش .

٢٠- عباس اقبال

" تاريخ منصل ايران " طهران ١٣٤٦ هـ . ش .

٢١- عبد السلام عبد العزيز فهمى

" تاريخ الدولة المغولية فى ايران "، نشر دار المعارف القاهرة ١٩٨١م .

٢٢- كارل بروكلمان

" تاريخ الشعوب الاسلامية " ، نقله الى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكى ، الطبعة السابعة، نشر دار العلم ، بيروت سنة ١٩٧٧م .

٢٣- لين بول (ستانلى)

" الدولة الاسلامية " ، اضافات وتصحيحات بارتولد وخليل ادهم نقله من التركيه الى العربيه محمد صبحى فرزات ، واشرف على ترجمته وعلق عليه

محمد احمد دهمان ، نشر مكتبة الدراسات الاسلامية ، دمشق .

٢٤- محمد صالح داود القزاز

الحياة السياسية فى العراق فى عهد السيطرة المغولية ، بغداد سنة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠م .

ثالثا : الدوريات العربية والفارسية

٢٥- آ . خ . خاتيماتون

على شيرنوائى وسريداران ، مجلة الشرق ، العدد الرابع موسكو ١٩٦١ .

٢٦- سليمان حاييم

معجم فرهنك جامع فارس بانكليس

المجلد الثانى (س - ى) طهران سنة ١٣١٤ . هـ . ش .

٢٧- محمد على همذا

لفت نامه (دائرة المعارف الايرانية) العدد ١٢٢ .

٢٨- ناظم الاطباء

نفيس ، معجم نفيسى ، المجلد الخامس : طهران ١٣٤٣ هـ . ش .

٢٩- دائرة المعارف الاسلامية

نقلها الى العربية عبد الحميد يونس ، وحافظ جلال ، وابراهيم ذكى خورشيد ، وأحمد الشيناوى ، راجعها محمد احمد جاد المولى ، المجلد الرابع . العدد السابع ، المجلد الثالث عشر .

رابعا : المراجع الأجنبية

Howorth : sir H.

History of the Mongols vol III

(London 1988) .

Malcolm : sir J

the History of Persia

(London 1979) .